

محمود غنيم

القصير

أو

هزيمة لويس التاسع

مسرحية شعرية تاريخية ذات أربعة فصول —
فازت بجائزة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب

النص أو هزيمة لوليس التاسع

فازت هذه المسرحية بجائزة المجلس
الأعلى لرعاية الفنون والآداب

أسهمت وزارة الثقافة والإرشاد القومي
في نشر هذه المسرحية

محمود غنيم

الانتصار

أو

هزيمة لويس التاسع

مسرحية شعرية تاريخية ذات أربعة فصول
تدور حوادثها حول انتصار المصريين
على لويس التاسع في معركة المنصورة

الناشر



دار الفانم

بالقاهرة

مقدمة
بقلم الشاعر المسرحي الكبير
عزيز أباظة

ستظل عبْرُ التاريخ وآياته على مدار القرون منهلاً زائراً بأروع ما يتزود به الفنان ، وهو يخلق بجناحي فكره عبْرَ الأجيال الماضية ، عساه يجد بين طوايا المجهول إلهامَ فنّه ، متمشّلاً في تلك النزعات البشرية التي اضطبغت بها ملامح الحياة عصراً بعد عصر ، واتسم بها طابعُ الوجود جيلاً بعد جيل .

والحياة مذ تنفّسَ صُبْحُها في هذه الدنيا أشبهُ بروايةً أزليةً ، تأتلف مناظرها تارةً ، وتختلف أخرى ، وهي في اتّلافها واختلافها تسير بالبشرية إلى حيث يُسدَلُ ستارُ القدر على مُلك فيبْلى ، أو جاء فيضمحل ، وتبدّل وجوه الأيام ، والرواية كما هي متشابهة المناظر ، لا تأتي بجديد إلا في الالتقاء دون اللّقاء .

فالفنان الحق هو من تستوعب واعيته جوهرَ الحياة . فيستخلصُ من حقائقها المتسقة عناصرَ فنّه ، وعواملَ إبداعه . والحياةُ بصورها المتباينة

والوانها المختلفة تترامى فى كل زاوية من زوايا التاريخ ، فلا عجب أن يتخذها الفنانون مصدراً ثراً من مصادر إلهامهم ، حين تتجه مخيلتهم إلى تصوير فترة من حياة شعب أو بيئة أو مجتمع .

وهذه الرواية تتحدث عن قطاع من تاريخنا المشرق ، وما أكثر القطاعات المشرقة فى تاريخنا القديم والحديث على السواء ! وإنها لسجلات ممتعة تلك التى يعيشها الإنسان مع أبطال قوية فى جيل من الأجيال ، يتملى صراهم من أجل الحفاظ على تراب هذا الوطن ألا تدنس أقدام الغزاة ، ويرى هذا الشعب وقد خاض لجج الأهوال الرهيبة ، غير حافل بالأشلاء والدماء حتى اعتلى قمة النصر المؤزر ، وجعل الغزاة يلبسون سراويل الخزى والعار وهم صاغرون .

فالفترة التى تتحدث عنها الرواية يسودها القلق والاضطراب وتخللها الاطماع ، فقد اشراقت أعناق الصليبيين إلى السيطرة على ما تنسج له أخيلتهم من هذه الأرض العربية ، وكان غزو لويس التاسع ملك فرنسا لمصر فى ذلك الحين حلاً من أحلام السيطرة التى تراود أذهان الصليبيين ، ولم يكن يتوقع أو يدور بخلد أن هذا الشعب سيستمرى مرارة الحرب ، ويجد لذة فى الكفاح ، حتى توالى الهزائم على كتفيه فى معركة المنصورة ، وأصبح أسيراً فى دار ابن لقمان ، يتجرع غصص المهانة ، إلى أن اقتدته زوجته ، وغادر هذه البلاد تشيعه الهزيمة والشنار .

وكان للفطنة الثاقبة التى تتمتع بها شجرة الدر أبعد الأثر — فى تقديرى — فى هزيمة الفرنسيين وانتصار المصريين ، فقد أخفت نبأ وفاة زوجها حتى لا تشغل الأذهان بالتغير الذى طرأ على قواعد الحكم ، ومن ثم كانت هذه

الحكمة في تدبير شئون الدولة من العوامل النفسية التي رجحت كفة الحرب ،
وجعلت اندحار الفرنسيين أمراً مقضياً .

ووقائع هذه المعركة فصلها الأستاذ الشاعر الكبير في روايته القيمة تفصيلاً
مبيناً ، دون أن يتجنس أو يفتات على حقائق التاريخ ، أو تجرفه الحماسة
الوطنية إلى اصطناع انتصارات من لدنه ، ولقد توخى القواعد الأساسية
في التأليف المسرحي ، فبسط لغة الحوار حتى جاءت سلسلة منطوقة ، لا تعقيد
فيها ولا تكلف ، ونسق المشاهد في ترتيب منطقي ، تهدي فيه المقدمات
إلى النتائج ، وصحب بفكره أبطال روايته عن وعي وإدراك كاملين ، حتى كشف
الحجاب عن مكنون ضمائرهم ، وأبرز أدق الخلجات والنزعات التي تجيش
في قلوبهم ، لذلك بلغ شأواً فنياً بعيداً من الجودة والإتقان .

وإنه لخليق بالزهو والإعجاب أن نرى ماضيناً وقد انبعث في هيئة أعمال
فنية ، تنشأ قرائح فنانينا ومفكرينا بين الحين والحين ، لأن في هذا استعادة
لذكرات تملأ النفس غبطة وبهجة ، واستنهاضاً لهم هذا الجيل أن يأتسى بما
قدمه السابقون الأولون من فداء وتضحية ، وأن يصل ماضيه المشرق بحاضره
المزدهر .

من أجل ذلك كله يسعدني ويشرفني في وقت معاً أن أقدم هذه المسرحية
للناس . وأن أهنيء شاعرنا الكبير الموهوب على توفيقه المتوثق في هذا
الميدان الجديد — ميدان التأليف المسرحي — سائلاً الله أن يديم عليه
ما أسلفه له من نعمة البلاغ والتألق في خدمة اللغة العربية الكريمة . والشعر
العربي الخالد .

عزيز أباظه

كلمة موجزة

بقلم المؤلف

كُنَّا ومازلنا نعتقد أن الشعر لغة المسرح ، لأنه أبعد مدًى وأعمق غوراً في النفوس من أى ضرب آخر من ضروب التعبير ؛ ولا سيما إذا استطاع المؤلف تطويع أوزان الشعر وإخضاع قوافيه لمقتضيات الحوار ومسيرة الحوادث .

ولعل الشعر كان لغة المسرح منذ عهد الإغريق القدماء بالتمثيل المسرحي ، ولعله ظل كذلك في غير العربية من اللغات ، على أن ما ظهر في العصر الحديث من المسرحيات الشعرية باللغة العربية يبشّر بالخير ، ويعزى بالمزيد .

ولقد كان اختيار موقعة « المنصورة » موضوعاً لرواية مسرحية اختياراً وطنياً موقفاً ، فإن هذه الموقعة حافلة بالآباجاد المصرية التي نحن في مسيس الحاجة إلى إثارتها والتنويه بل التشهير بها إبان نهضتنا الحالية، ولقد كان غنى هذه الموقعة بالآباجاد المصرية مغنياً لنا عن كدّ الخيال في اصطیاد هذه الآباجاد ، وعن الاستعانة بالأشخاص الخياليين إلا بقدر محدود دعت إليه الحبكة المسرحية .

ولقد استقرّ أنّا معظم ما كُتِبَ في هذا الموضوع من المراجع التاريخية على ما بين بعضها وبعض من تضارب في رواية بعض الأخبار ، على أن هذا التضارب لم يكن له كبير تأثير على بناء المسرحية ، والذي نستطيع أن نقطع به أننا التزمنا

الجانب التاريخي التزاماً ولم تتحال منه إلا بمقدار ما يقتضيه بناء المسرحية مما لا يمس جوهر التاريخ في قليل أو كثير .

ولقد كان حرصنا شديداً على إبراز كفاح الشعب في هذه الموقعة الخالدة ، ولم يكن في هذا تجنُّ على التاريخ نفسه ، فإن الأمر كان كذلك ، أعني أن دور الشعب في هذه المعركة كان أبرز من دور السلاطين والجنود الرسميين ، ذلك أن فترة حدوث هذه الموقعة كانت فترة بلبلة واضطراب بالنسبة لعرش مصر ، إذ أنها فترة انتقال الحكم من أيدي الأيوبيين إلى أيدي المماليك . ويكفي دليلاً على ذلك أن عرش مصر قد تعاوَرَه في فترة حدوث هذه المعركة — وهي لم تزد على أحد عشر شهراً — ثلاثة سلاطين ، بل أربعة إذا اعتبرنا أن عز الدين أيبك التركاني كان هو السلطان الفعلي لمصر بعد بنائه بشجرة الدر وقبل أن تتنازل له عن العرش بصفة رسمية .

وبعد ، فإننا لم نرد دعياً لسرد قائمة مطولة من المراجع التي رجعنا إليها اعتماداً على أن مجرد قراءة هذه المسرحية يكشف عن مدى هذا الاطلاع والله ولي التوفيق .

المؤلف

أشخاص الرواية

طبقا لتتابعهم على المسرح على وجه التقريب

- ١ أنف ام : وصيفة بالقصر شخصية خيالية
- ٢ أنس ام : وصيفة بالقصر » »
- ٣ صبيح : طواشي وسجان » تاريخية
- ٤ تاج الملك : أميرة من أميرات البيت الأيوبي » خيالية
- ٥ بيبرس البندقداري : قائد من قواد المماليك » تاريخية
- ٦ جاسوسان فرنسيان شخصيتان خياليتان
- ٧ شجرة اندر : زوجة السلطان نجم الدين أيوب وسلطانة مصر بعد ذلك شخصية تاريخية
- ٨ عز الدين أيوب التركاني : قائد من قواد المماليك » »
- ٩ أقطاي : » » » » » »
- ١٠ عز الدين بن عبد السلام : عالم كبير وزعيم الشعب » »
- ١١ الصالح نجم الدين أيوب : سلطان مصر » »
- ١٢ الأمير نضر الدين : والي دمياط وقائد الجيش » »
- ١٣ البهاء زهير : شاعر - وكاتب الديوان » »
- ١٤ المعظم توران شاه : سلطان مصر بعد أبيه نجم الدين أيوب » »
- ١٥ لويس التاسع : ملك فرنسا » »
- ١٦ مرغريت : زوجة » لويس » التاسع » »
- ١٧ جمال الدين بن مطروح : شاعر » »
- ١٨ عراف » خيالية
- ١٩ حاشية . أسرى . حجاب . وفود شعبية . فكرات مسرحية .

ملاحظة :

لم نسرف في تصميم المسرح ووصف المناظر وما يتعلق بالشخصيات من ملابس وهيئات اعتمادا على أن يتولى المخرج كل ذلك على ضوء ما يقتضيه سياق الحوادث .

الفصل الأول

المنظر . بهو في قصر السلطان نجم الدين أيوب بأشعوم طنّاح . في صدره عرش
قام . الوقت مساء . الوصيفتان أنعام وأنعام تتناحيان

أنعام : [في تحسر] عجيبٌ أمرٌ سيدتي عجيبٌ
يطيبٌ لها مع الورقِ النّجيبُ
أنعام : . . إذا ناحت مطوّقةٌ أجابتُ
وإن غنى هزّارٌ لا تُجيبُ
أنعام : . . وإذا يبدو على فمها ابتسامٌ
يلوح كأنه ضيفٌ غريبُ
أنعام : . . ومُذ قتل الصليبيون مجداً
أخاها دمعتها أبداً صيبُ
إذا نضبتُ مياه النيل طرّاً
فليس لدمعها أبداً نضوبُ
أنعام : . . لقد كان الصليبُ شعارَ سلمٍ
فدكّ قواعد السّلم الصليبُ

أنسام : [في تحسر] وما عيسى ديانته صراع
ولا طه رسالته حروب

أنعام : . . يريد الله إصلاحاً وخيراً
وباسم الله تُقَرَّفُ الذنوبُ

وما بالدين من عيبٍ ولكن
فسادُ الدينين هو المَعيبُ

أنسام : دَعِينَا من حديث الحرب إنَّا
نكادُ إذا سمعناها نَشِيبُ

أنتركُ عودَ تاج الملك يَذْوِي ؟
ونتركُ حسنَهَا ملحاً يذوبُ ؟

أنعام : لتاج الملك يا أنسامُ حُسْنُ
تضاعفه الكآبةُ والشحوبُ

فلا من فرعها اختفت الدياجي
ولا من خدّها انطفأ اللهبُ

أنسام : وبعضُ الحسنِ مكشَّبٌ حزينٌ
وبعضُ الحسنِ ممراحٌ طروبُ

أنعام : وكم حُسْنٌ يحفُّ به وقارُ
فتَهفُو عند رؤيته القلوبُ

أنسام : [في خبت] لعمري لا يخففُ من أساها
ويذهبُ ما بها إلا حبيبُ

أنعام : [في إنكار] حبيبُ يا خبيثهُ ؟

أنسام : ذاك ظنِّي

وظنِّي في العذارى لا يخيبُ

إذا الداءُ العضالُ أصابَ بكرةً

فليس سوى الزواج لها طيبُ

أنعام : أينزو قلبَ تاج الملك غازٍ ؟

وكيف وقلبُها صخرٌ صليبُ ؟

تعيش مع السكواكب في الأعلى

ويرقبُها على الأرض الرقيبُ

أنسام : يعزُّ على هذا الحسنُ يذوي

وليس لعاشقي منه نصيبُ

لعمري إن مولائي كمنى

دقيقٍ لم يصورة أديبُ

وما هي غير زهر ليس يسري
 شذاه وليس ينفح منه طيب
 وما الوادي الخصب سوى يباب
 إذا لم يسكن الوادي الخصب
 وما الغصن الرطيب سوى هشيم
 إذا لم ينضّر الغصن الرطيب
 أنغام : [في شبه همس] على أنا سمعنا أمس همساً
 وما ندرى أيخطئ أم يصيب ؟

أنسام : . . . أيني

أنغام : . . . إن تاج الملك أضحي

لها رؤيؤ

أنسام : . . . ومن هو يالعب ؟

أنغام : . . . يقول الناس عن « بيبس » صب

يهم بحسنا

أنسام : أمل كذوب

فهل ترضاه تاج الملك يوما

قريناً وهو مملوك جليب ؟

وهل يرضاه بيت الملك صهراً ؟

أنعام :

نَعَمْ يَرْضَاهُ فَهُوَ فَتَىٰ نَجِيبٌ

فَتَىٰ مَاءِ الشَّيْبَابِ بِوَجْنَتَيْهِ

يَمُوجُ وَشَمْتُهُ سَمْتٌ مَّهِيبٌ

وَإِنْ شَبَّتْ لَظَىٰ الْهَيْجَاءِ يَوْمًا

يَصُولُ كَأَنَّهُ الْأَسَدُ الْغَضُوبُ

وَلَكِنْ مَا لَهُ حَسَبٌ

أنعام :

دعينا

أنعام :

أَخُو الْعَزْمِ الْقَوِيُّ هُوَ الْحَسِيبُ

وَلَسَكُنْ مَهْرُ تَاجِ الْمَلِكِ غَالٍ

أنعام :

هَيْبِهِ . إِنَّهُ سَمْحٌ وَهَوْبٌ

أنعام :

حَسِبْتَ الْمَهْرَ يَا أَنْعَامُ مَالًا

أنعام :

تَفِيضُ بِهِ الْخَزَائِنَ وَالْجُيُوبُ

وَلَيْسَ الْمَهْرُ إِلَّا أَلْفَ رَأْسٍ

مَنْ الْإِفْرَنْجُ يَدْفَعُهَا الْخَطِيبُ

أَتَطْلُبُ أَلْفَ رَأْسٍ فِي أَخِيهَا؟

أنعام :

نَعَمْ

أنعام :

مَهْرٌ تَحْفُ بِهِ الْخَطُوبُ

أنعام :

ولكن سوف يبداه « بِرَّسٌ »

« وإن غداً لناظره قريبٌ »

[ويدخل الطواشي صبيح]

صبيح : [في حركات ضاحكة] سمعتُكُما معاً تتناجيان

على من كُنتما تتأمران ؟

أنعام : [ضاحكة] صبيحُ صبيحُ

أنسام : . مرحى يا طواشي

صبيح : [مهدداً] أَتَبْتَسِمَانِ لِي ؟ لا تَخْدَعَانِي

ألا فلتَصْنُدُقَانِي القولَ حالاً

أعني كُنتما تتحدَّثَانِ ؟

أعني قُلتما خيراً ؟ محالٌ

تقولُ الخَيْرَ ألسنةُ الغواني

أنعام : [ساخرة] نقولُ عنكَ تعيسُ الحظُّ منكودُ

« لا في الرجال ولا النسوان معدودُ »

أنسام : فأنت في مجلس النسوان مبتذلٌ

وأنت عن مجلس الذكران مطرودُ

صبيح : [غاضباً] أهكذا بالفحش تنطقان

يا سبَّةَ الخرائد الحسنات ؟

مولاي نجم الدين يعلّ شاني
 وزوجه شجرة الجبان
 تعرف إن جهلًا مكاني
 إني لمأمون على الغواني
 أغشى جاهلًا بلا استئذان
 ما في الغواني حرة تخشاني
 [بعد فترة صمت] الحمد لله فقد كفاني
 مئونة الزوجة والصبيان
 إني أعيش العز في أمان
 من نكد الدنيا وتقضيان
 غمركا بحثًا عن العرسان
 خلقنا لله . تحملان
 وتضعان ثم ترضعان
 وتشربان للرب بالفنجان
 فلا نجوئنا من الهوان
 ولا سلتنا من الأحران

يا وُصْمَةً في جبهة القِيَانِ
 وشوكة في قدم الزمانِ
 أنغام : [ساخرة] أسرفت في الزور وفي البهتانِ
 أنسام : قلت أقولا بلا معاني
 أنغام : [ساخرة] لا فضُّ فوق أنت ذو لسانِ
 الدَّغ من أفعى ومن ثعبانِ
 صبيح : [متعسا] لكنني في حومة الميِّدانِ
 ألبُ بالسيف وبالسنانِ
 أمّا سمعنا من الرُّكبانِ
 عني في معارك الصُّلبانِ
 تدرى القرنجُ عصبهُ الشيطانِ
 موافقي في الدود عن أوطاني
 أنسام : [ساخرة] أقصرُ ثكالتك قد صدَّعت آذاني
 وخضت نار الوغى في غير مَيِّدانِ
 أنغام : [ساخرة] فيم البطولة يا صُعلوك تزعمها
 هل أنت يومَ الوغى «بيبرس» الثاني؟

صبيح : ماذا تقولين هل «بيرس» يفضّلني؟

أنا و «بيرس» يومَ الرَّوْعِ نَدَّانِ

[يدخل «بيرس» مكتئبا]

أنسام : [في دهشة] قد جاء «بيرس»

صبيح : [وهو يلتفت ويتلثم] حقا . أين منه أنا؟

شتانَ ما بين ذُؤْبَانٍ وخِرْفَانِ

[صبيح ينسحب و «بيرس» سايم لا يرد]

أنغام : ما ذلك الصمتُ؟

بيرس : [في سهوم] سُقْمٌ حلَّ في بدني

قد حرّم النومَ طولَ الليل أجفاني

أنسام : [في تخاذل] سُقْمٌ بجسمك أم سُقْمٌ بقلبك يا

هذا؟ أجبني فإنَّ السُّقْمَ نوعانِ

بيرس : [في دهشة] سُقْمٌ بقلبي؟ مَنْ أدراكِ أنتِ به؟

أنسام : [في تهكم] قرأتُ سرّك في كفِّ وفنجانِ

أنغام : . . تشكو سَقاماً وما غيري طبيبتهُ

لكنَّ طيّي يا «بيرس» روحاني

أنسام : [في قوة] اجهر بحبك لاتكتم لواعجه
 في القلب . فالحب لا يخفى بكتان
 بيبس : [في تأثر بالغ] لله درك من حزباء ما كره
 تستخرج السّم من أنياب ثعبان
 لمست جرحاً بقلبي عزّ بلسمه
 حاولتُ كتمانَه دهرأ فأعياني
 أقسمتُ ما بي من داء يخامرني
 لكن هيامي بمن أهواه أضناني
 أحين شوقاً إليه وهو في شغل
 تدرى النجوم ولا يدرى بتحناني
 وينتشي القلب من ذكر اسمه طرباً
 كات أحرفه لحن بآذاني
 من كان يطربه طير على فتن
 فاسم الحبيب ترانيمى وألحاني
 يا ليت شعري أيدنو النجم من أفق ؟
 هيهات هيهات ليس النجم بالداني

أطمعتُ نفسيَ فيما لستُ أدركهُ
لو كان لي أملٌ فيه لعزّاني
يا بيتَ أيُّوبَ هل يرقى إليك فتى
مثلي تَجَرَّدَ من جاهٍ وسلطانٍ ؟
إن لم يكن لي سلطانٌ أدلُّ به
فقد خدمتُك في صدق وإيمانٍ
إن كنتُ عندك مملوكاً فكم خُضِبتُ
في صَوْنِ تاجِكِ درعى بالدم القاني
لي من جهادى عرش أستظلُّ به
تَفَنَّى العروشُ وعرشى ليس بالقاني
أنعام : [في ابتسام] يا مَنْ لقلبٍ بالغرام جريح ؟
أنسام : « ابنُ الملوّح » أنتَ وابنُ ذريحٍ
أنعام : مَنْ ذا الذى أصمى فؤادك ؟ إننا
لا نكتفى يا صاح بالتلميح ؟
أنسام : أصمته تاج الملك . لا تتجأهلى
هل بعدَ هذا القول من تصريح ؟

أنغام : [لبيرس] لِمَ لَا تُجِيبُ ؟

أنسام : أَكُنْتُ يَسْكُتُ هَكَذَا

لو كان ما قلناه غير صحيح ؟

[تدخل تاج الملك في ثياب الحداد]

أنغام : [في دمشق] يَا لَعَجَائِبِ الْقَدَرِ

أنسام : ماذا دهاك ؟ مَنْ حَضَرَ ؟

أنغام : مولاتُنَا قَدْ أَقْبَلَتْ

في حالِك من الحبر

أنسام : يَا هَلْ تَرَى أَعْنَدَهَا

عن حب « لبيرس » خبر ؟

أنغام : سَيَنْجَلِي الْأَمْرُ لَنَا

صَبْرًا . يَفُوزُ مِنْ صَبْرٍ

تاج الملك : عَمُوا مَسَاءً

أنسام وأنغام : [ويبرسن مأخوذ] مَرْحَبًا

بالبدر في الأفق ظهر

تاج الملك : « لبيرس » سَاءَ مَطَرٌ

كأنه بي ما شَقَرَتْ

أنسام وأنغام : بل اعـتـراه حينما
 رآكَ عيٌّ وحَصْرُ
 يبرس : [في لهفة وارتيابك] « يبرس » لما أشرقت
 شمسك فـكـسَ البَصْرُ
 إن الشموسَ دائماً
 شـمـاعها يُعْشِي النَّظْرُ
 تاج الملك : [في دلال] هذا لعمرى غَزَلُ
 أنغام : [في خبث] دَعِيهِ يَهْذِي . لا صَرَزُ
 أنسام : أَجَلْ أَجَلْ دَعِيهِ يُبْـ
 دِي من هَوَاهُ ما اسْتَتَرُ
 أنغام : وإن أساء فأغفري
 أنسام : إن الكريمَ من غَفَرُ
 أنغام : مَنْ لَمْ يَرُوعْهُ ذَلِكَ الـ
 حَسَنُ قَلْبُهُ حَجَرُ
 يبرس : [في انطلاق] رفقا بقلبٍ واجِدِ
 من فَرَطَ وَجْدِهِ انْفَطَرُ

رفقاً بطرفٍ ساهرٍ
 أزرى به طولُ الشهرِ
 يا نحةَ الزَّهرِ إذا
 رفَّ الندى على الزَّهرِ
 يا نسمةَ الصبحِ إذا الـ
 صبحُ من الأفقِ سَفَرُ
 يا نسمةً هبَّتْ على
 وردِ الرياضِ في السحرِ
 أو داعبتْ عند الأصيلِ—
 حل خصلةً من الشَّعرِ
 يا طلعةَ البدرِ على الـ
 مُدْلِجِ شَفَهَ السَّفرِ
 يا منظرَ الروضةِ إنْ
 ترَعَرَعَتْ غبَّ المطرِ
 يا فرحةَ النصرِ إذا
 ما الجيشُ في الحربِ انتصرُ

أشـمـومُ مذُ نزلتها
قد أصـبـحتُ بُرجَ القمرِ
مِنْ عَيْنِكَ اسـتـعـارتُ الـ
نـمـمَـها لـعـيـنـها الحـورُ
بـسـحـرِ ألقـاظـكِ أو
عـيـنـيـكِ « هـاروتُ » سـحـرُ
ومـن لـهـيـب وـجـنـتـيـب
لـكِ يـقـدح الزُّنـدُ الشَّرُّ
لـيـس يـتـيـمُ الدُّرُّ إلـا
مِنْ ثـنـايـكِ الغُرُّ

تاج الملك : [فحزن ودلال] ويحي وويحك قدهيَّجت أشجاني

ماذا تحاولُ ؟ دعني نهبُ أحزاني
لم تُتبقِ في قلبي الأحرانُ زاويةً
للحبِّ يأوي إليها المدنفُ العاني
ومَنْ لمثلي بفيض الحبِّ يغمرها
حتى تجاوبَ تحنانا بتحنانٍ

لا تحسنُ الحبَّ تُسكلى قد أضربها
 كره الزمان على أهل وُخلانِ
 لا درّ درّ الصليبين كم خربوا
 في الأرض داراً وكم طاحوا بسُكّانِ
 كم خربوا عامراً باسم الصليب وهم
 مُلقنون يا نجيل وقرآنِ
 والله مادمُ « مجد الدين » طُلّ ولا
 جرّ الزمانُ عليه ذيلَ نسيانِ
 لم أنسَ ثار أخى من سبعة سلفت
 ما زال طيفُ أخى في النوم يَفْشاني
 بالأمس شنّوا علينا الحربَ تدفعهم
 دوافعُ الشر من بنى وعُدوانِ
 [تغيّر نبراتهما] واليومَ نَبَّثْتُ أنَّ القومَ قد زحفوا
 على الحمى من جديد زحفَ قرصانِ
 إن لم أنلَ تَرَتِي منهم فأجدرُ بي
 من ثوب عُرْمِي يومَ العُرسِ أ كفاني

بيرس : [في حماس]

يا لَأْسَى يا لَأْلَمُ

يا للَرْجُومِ والحَمَمِ

أَنْسِيتِنِي حُبِّي وَحَرَّ

كَتْ شَعُورِي فَاضْطَرَمْتُ

وَاللَّهِ مَا طُلُّ لَمْجُ

سَدِّ الدِّينِ يَا أَخْتَاهُ دَمِ

إِنْ تَطْلُبِي مِنِّي دَرَّ

كَ ثَأْرِهِ فَلَا جَرَمِ

نَدَبَتِ لِلنَّارِ فَنِّي

إِنْ شَبَّتْ الْحَرْبُ اقْتَحَمْتُ

فِي كَفِّهِ مَهْنَدُ

يَنْقُذُ فِي الصَّخْرِ الْأَصَمِ

لَا يَعْرِفُ الْخُوفَ لَهُ

قَلْبُ إِذَا الْخُطْبُ ادْلَهَمُ

بِسَيْفِهِ يَحْمِي الْحَمَى

بِرُوحِهِ يَفْدِي الْعَلَمَ

أنسام : [في تخايت] إن رُمّت مولاتيّ فيها

ت ألف رأس

بيبرس : [في دهشة] من غم ؟

أو ألف رأس من عتّا

ق الخيل أو خمر النعم ؟

أو هي من جوارح الـ

سـ عقبان أو أسد الأجم ؟

أنغام : بل من رموس سـ فلة الإـ

فرنج أوشاب الأمم

بيبرس : [لتاج الملك] سـ يدتي بالله هل

هـذا هو المهر ؟

تاج الملك :

بيبرس : [في بشروحات] حمداً لربّ العرش إنّا

الدهر لى قد ابتسم

يا مرحباً بزحفهم

إنّ صبح زعم من زعم

إِذْنٌ فَقَدْ سَعَتْ بِهِمْ
 أَقْدَامُهُمْ إِلَى الْعَدَمِ
 لَا بَدَّ مِنْ حَرْبٍ تَقْوِ
 مُ يَمِينَنَا عَلَى قَدَمِ
 بِرَأْسِ « تَاجِ الْمَلِكِ » أَقْـ
 سَمْتُ وَمَا أَغْلَى الْقَسَمِ
 أَقْسَمْتُ بِالْإِسْلَامِ وَالـ
 قُدُسِ الطُّهُورِ وَالْحَرَمِ
 أَنْ أُنْقِذَ الْعُرْبَ بِمَحْدِّ
 السَّيْفِ مِنْ شَرِّ الْعِجَمِ
 وَأَبْتَنِي مِنْ هَامِهِمْ
 صِرْحًا يَنْطَحُ الْهَرَمِ

الجميع يخرجون • يدخل بعدهم جاسوسان يتلفتان يمينا وشمالا

الأول: [فيما يشبه الهمس] يَا وَيْلَ مِصْرَ وَيْلَ أُمَّةٍ يَعْرُبِ
 « دِمِيَاطُ » قَدْ غُرِيتُ بِأَلْفِي مَرْكَبِ
 فِي فَجْرِ هَذَا الْيَوْمِ تَوَخَّذْ عُنُوءَ
 إِنْ لَمْ يَسْلَمْهَا الْحِمَاةُ تُخَرَّبِ

- الثاني : أتسرَّبتُ أنباءَ غزوتنا لها ؟
- الأول : إنَّ صحَّ ظنِّي فهُيَ لم تسرَّبِ
- الثاني : لا بل تسرَّبَ بعضها لكنهم
- الأول : في الأمر بين مصدِّقٍ ومكذِّبٍ
- لو يعلمُ السلطانُ غزوتنا لها
- الثاني : لَسعى إليها قبلنا في موكبٍ
- لا تذكُرُ السلطانَ فهو ملازمٌ
- أشمومَ ذو جسدٍ عليلٍ مُتعبٍ
- والقومُ منهمكون في تمرِيضه
- الأول : قد حار في التمرِيز ألفُ مطبِّبٍ
- الثاني : السُّلُ والناصرُ قد فتكا به
- الأول : لم يَبقَ من داءِ به لم يُنكَبِ
- الثاني : اكتبْ بِذاك إلى « لويس » وحدهُ
- الأول : ولأى شَيْءٍ جئتُ إن لم أكتبِ
- الثاني : لا تنسَ أنا تاجران هُنا
- الأول : [ضاحكا] نعم
- ضيغانِ في هذا المكانِ الأَرْحَبُ

الثانى : من بعض أهل البندقية مالنا
شغلٌ هنا غيرُ ابتغاء المكسب

الأول : أنظنُّ حملتنا ستنجح ؟

الثانى : كيف لا

والحاكون بمصر أهلٌ تمزُّب ؟

القصرُ فيه ألفُ حزبٍ سادرٍ
فى غيِّهِ . كلُّ يدينُ بمذهبٍ
إنى لأخشى الشعبَ

الثانى : حقًا ذاك ما

أخشاهُ . إنَّ الشعبَ لم يتشعبِ

الأول : إنَّ السوادَ هنا أشدُّ شكيمةً

من ألف جيشٍ فى الحروبِ مدرَّبِ

الثانى : لا يُسلمُ الحكمَ أمرَ بلادهِ

لكنَّ يدافعُ دونها بالمنكبِ

الأول : إنَّ الصليبَ عليه ينصرُّنا

نعم

الثانى :

حتى يعيشَ الشرقُ عبدَ المغربِ

الأول : [وقد سمع الصياح] ويلاء ما هذا الصياح ؟

الثاني : [وهو يطل] طوائف

شَتَّى تَيْمَمٌ نَحُونَا

الأول : فلتهزَّب

[جلبة بالخارج . الجاسوسان يسمعان فيفران]

أصوات بالخارج : [بكر كل مقطع] حَيٌّ عَلَى الكفاح

هَاتُوا لَنَا السِّلَاحَ

« دِمِيَاطُ » يَا عُرُوسَ

نَفْسِيكَ بِالنَّفُوسِ

فَلْيَسْقُطْ الْعِدْوَانُ

هَيَّا إِلَى السُّلْطَانِ

[يَعْتَلِي السُّرْحُ مِنَ الدَّخْلِ بِأَهْلِ الْقَصْرِ ، وَمَنِ الْخَارِجِ بِنَفَرٍ مِنَ الشَّعْبِ ، عَلَى الْبَيْتِ صَفٌّ وَعَلَى السَّمَاءِ صَفٌّ . الشَّيْخُ عَزَّ فِي صَفِّ الشَّعْبِ . بَيْنَ الْحَاضِرِينَ شَجَرَةُ الدَّرِّ ، وَتَاجُ الْمَلِكِ ، وَالْوَصِيفَتَانِ ، وَالْبَهَاءُ زَهِيرٌ ، وَبِيرْسٌ ، وَأَقْطَايُ ، وَالطَّوَاشِي صَبِيحٌ ، وَأَيْبِكُ ، وَغَيْرُهُمْ] .

شجرة الدر : [في دمهنة] ما ذلك المهرج ما هذا الهتاف وما

هذا الصياح الذي قد زلزل الهرما ؟

تاج الملك : الشعب قد ثار حول القصر ثائرة

إِنِّي رَأَيْتُ عَلَى أَبْوَابِهِ أَمَمًا

شجرة الدر :

إذن فقد صبح ما قد كنت أسمعُ

الغارة اشتعلت والموقف احتلما

بيبرس : [في حماس] نعم صليبيّةٌ والله سابعّةٌ

في مصرَ يجرى بها النيل الأمين دما

شجرة الدر : لا تغلقوا القصر خلوا القصر يدخله

من شاء لا تمنعوا عن بابه قدما

الشيخ عز : الشعب يهتفُ بالسلطانِ

البهاء زهير : ها هوذا

قد جاء

الحاجب : مولاي نجم الدين قد قديما

[السلطان يدخل في إعياء ظاهر يسنده رجلان ويجلسانه على العرش .
الجميع يشيرون بالتحية]

الشيخ عز : مولاي صانك رب العرش في رغدٍ

واحد من الشعب : أزال عنك إلى أعدائك السقما

ثان : بقيت للعرب والإسلام قاطبةً

تحمي الحمى وتصون القدس والحرمما

السلطان : تحيةً طيبةً مباركةً

الجمهور : ألفُ تحية وتسليم لكَّه

السلطان : ماذا جرى ؟ ماسرُّ تلك الحركة

أهو اختلالٌ في أمور الملكة

البهاء زهير : كلا معاذَ الله فالأمور

كالشَّهب في أفلاكها تسيرُ

الشيخ عز : لكن هناك حادثٌ خطيرٌ

السلطان : ما ذاك ؟

الشيخ عز : ذاك أيها الأمير

جيشٌ على حدودنا يغيرُ

إن صَحَّ ما يقوله النفيرُ

السلطان : [متفعلاً] أئتمَّ غارةً على حدودي ؟

وكيف لا أعلمُ يا جنودي ؟

شجرة الدر : مولاي ليس الأمر باليقينِ

بل لم يزل في حيزِ الظنونِ

وأنت تشكو لا شكوتَ أبدًا

ولا لقيتَ العيش إلا رَغَدًا

[هنا يصل نخر الدين مع فريق من جنوده المنسجيين]

الحاجب : مولاي وفد قائمٌ بالبَابِ

السلطان : أدخله ليس الوقتُ وقتَ حجابِ

[هنا يدخل الأمير نخر الدين ومعه وفد من دمياط]

السلطان : [وقد رأى نخر الدين]

مَنْ أَنْتَ ؟ نخرُ الدين ، مرحى

نخر الدين : دمت يا

مَلِكَ الملوك مبارك الأعتابِ

السلطان : ماذا أتى بك ؟ كيف حالُ الأمنِ في

« دمياط » ؟ أهو هناك في استِثبابِ ؟

نخر الدين : [وتلثم]

« دمياط » ؟ كيف أقول يا مولاي ؟ قد

سقطت سقوطاً في يد الأوشابِ

جماعة من الحاضرين

دمياط قد سقطت ؟

جماعة أخرى : خُذُوا بسيوفكم

يا قومُ

جماعة ثالثة : هُبُوا يَا أَسُودَ الْغَابِ

جماعة رابعة : لَا مُكُتَ بَعْدَ الْيَوْمِ

السلطان : [في غضب] صَا لَا تَنْبِسُوا

السلطان : [لفخر الدين] حَدَّثَ حَدِيثَ الْغَزْوِ فِي إِسْهَابِ

قُلْ لِي ثَكَلَتُكَ كَيْفَ كَانَ سَقُوطُهَا؟

السلطان : [وقد سكت فخر الدين] قُلْ لِي أَجِبْ . لَمْ لَا تَرُدُّ جَوَابِي؟

كُنْ هَادِيَّ الْأَعْصَابِ وَارَوْ حَدِيثَهَا

لَا تَخْشَ . لَسْتُ بِثَائِرِ الْأَعْصَابِ

فخر الدين : [في استغناء]

وَصَلَ الْغَزَاةُ إِلَى الشَّوَاطِي مَوْهِنًا

وَاللَّيْلُ دَاجٍ حَالِكٌ الْجَلْبَابِ

جَاءَتْ بِهِمْ سُفُنٌ تَتَوَدُّ الْبَحْرَ فِي

عَدَدِ النُّجُومِ تَمُوجُ بِالرَّكَابِ

فَرَّقَ تَقَازَفَهَا الْعُبَابُ كَأَنَّهَا

كَانَتْ عِبَابًا فَوْقَ ظَهْرِ عِبَابِ

فَإِذَا الشُّطُوطُ عَسَاكَرٌ وَدَسَاكَرٌ

وَبَرِيقُ أَسْيَافٍ وَوَمَضُ حِرَابِ

وبدا الصبحُ على وجوه خضبتُ
من عَنَدَمٍ أو من دِمٍ بخضابِ
وكأنه من نَقَعِهِمْ وسلاحِهِمْ
ليلٌ تآلق فيه ألفُ شهابِ
والشعبُ في «دِمياط» سربٌ آمِنٌ
لم يحسبوا للغزو أيَّ حسابِ
وهنا رأيتَ الحزمَ في إخلائها
ورأيتُ أنَّ الحربَ غيرُ صوابِ

السلطان : [في تهم]

وهنا رأيتَ الحزمَ في إخلائها
ورأيتَ أنَّ الحربَ غيرُ صوابِ
وتركتَ للقوم المدينةَ أرضها
وسماؤها سَلَباً من الأسلابِ
لله درُّكٌ من هائمٍ أروعِ
عند الحفيظةِ بأسٍ وثَّابِ
أولم تكنَ معكم سيوفٌ تُنْتَضَى؟
يا للهوانِ وضِيعَةُ الأحسابِ
[بعد فترة صمت]

مَنْ قَائِدُ الْجَيْشِ الْمَغِيرِ؟ وما اسمه؟

مِنْ أَهْلِ أَيْتِ مَلِكٍ وَكِتَابٍ؟

نُفَرُ الدِّينِ : الْقَائِدُ الْقَدِّيسُ

السلطان : [مقاطعا] مَنْ هُوَ ذَلِكَ الـ

قَدِّيسٌ؟ ضَاعَتْ حُرْمَةُ الْأَلْقَابِ

نُفَرُ الدِّينِ : مَلِكُ الْفَرَنْسِيِّينَ «رِيداء»^(١) نَفْسُهُ

السلطان : تَبَّتْ يَدَاكَ «لُؤَيْسُ» أَيْ تَبَابِ

سَالِقُنُ النِّدَا الْجَبَانَ وَرَهْطَهُ

دَرْسًا بِحَدِّ السِّيفِ فِي الْأَدَابِ

[يلتفت لفخر الدين]

أَمَّا جُنُودُكَ أَنْتَ فَهِيَ بِحَاجَةٍ

أَيْضًا إِلَى سَيْفٍ وَسُوطٍ عَذَابِي^(٢)

نُفَرُ الدِّينِ : [في قوة] مَوْلَايَ لَا تَصِمُ الْكَلَامَةَ بِوَضْمَةٍ

تَبْقَى مَسَبَّتُهَا مَدَى الْأَحْقَابِ

(١) هذا هو اسم «لويس» السابع على نحو ما ورد في بعض الكتب .

(٢) تروى كتب التاريخ أن نجم الدين قتل زهاء ستين من جنود فخر الدين جزاء تسليم

مدينة «دمياط» وقد آثرنا أن نورد الحادث على النحو الوارد في المسرحية .

إِنِّي أَعِيدُكَ أَنْ تُرَى مُتَسَرِّعًا
فِي الْحُكْمِ قَبْلَ تَعَرُّفِ الْأَسْبَابِ
وَاللَّهُ لَمْ أَهْبِ الْغَزَاةَ وَجَمْعَهُمْ
مَا كَانَ «نَفَرُ الدِّينِ» بِالْهَيَّابِ
إِنَّ اجْتِرَاعَ الْمَوْتِ فِي سَاحِ الْوَعْيِ
لَأَحَبُّ مِنْ شَهِيدٍ لَدَى مُذَابِ
لَا يَعْرِفُ الْمَصْرَى مَعْنَى الْخَوْفِ أَوْ
يَرْتَدُّ مِنْ فِزَعٍ عَلَى الْأَعْقَابِ
لَكِنْ حَرَصْتُ عَلَى شِبَابِي بِرَهَةٍ
كِي يَدْفَعَ الْأَعْدَاءَ أَجْرَ شِبَابِي
رُوحِي فَدَى وَطَنِي وَلَكِنْ دُونَهَا
إِزْهَاقُ أَرْوَاحٍ وَحَزُّ رِقَابِ
هَبْنِي أَجُودُ بِمَهْجَتِي عَفْوًا بَلَا
ثَمَنِ فَكَيْفَ أَجُودُ بِالْأَصْحَابِ ؟
جُنْدِي الْقَلِيلُ أَمَانَةٌ فِي ذِمَّتِي
إِنِّي أَمْرٌ حِفْظُ الْأَمَانَةِ دَابِي

بالكثرة ابتلى الشجاعُ وربما
 ضعفَ العقابُ أمامَ سربِ ذبابٍ
 أنا لم أبغ « دمياط » بل غادرتها
 لأعيدَها زهراءَ غيرَ خرابٍ
 لأعيدَها بيدي القويّةِ هذه
 وبحدّ هذا الصارمِ القرضابِ
 مولاي هذي حُجَّتِي أُذلي بها
 للحقِّ لا للخوفِ والإرهابِ
 لك بعد ذلك مهجتي مبدولةٌ
 فاذهبُ بها إن شئتَ أيّ ذهابٍ
 قد كنتُ أرجو أن أعيشَ لأرتوي
 بدمِ العدا ويطيبَ منه شرابي
 فإذا قَضَيْتَ عليّ فاغسلْ أعظمي
 بدمِ العدا واسكُبْهُ فوقَ ترابي

السلطان : [في اقتناع]

ما قولكم فيما يقولُ ؟ أصادقُ

هو ؟

الشيخ عز : ليسَ فخرُ الدين بالكذابِ

السلطان : ترضونَ «فخرَ الدين» قائدَ جيشكم؟

الشيخ عز : بالبشرِ نرضاه وبالتَّرحابِ

السلطان : [افخرالدين]

عبيُّ جيوشك واستعدَّ لغارةٍ

شعواء تشفيني من الأوصابِ

قد كنتَ عندى فى الحروب ولم تزلْ

يا فخرُ معدوداً من الأقطابِ

فخر الدين : [منفعلاً]

اليومَ يغسلُ عني صفحة العارِ

ذبابُ سيفِ صقيلِ المتن بترِ

مولاي شكراً على هذا الجميل فقد

مكنتَ سيفي من إدراك أوتارى

قل للذى احتلَّ من «دمياط» شاطئها

مهلاً فقد لعبتُ كفاك بالنارِ

فلتشهد الأرضُ أفعالى بمجندك يا

«لويس» ولينقل التاريخُ أخبارى

[هنا يصل رسول لويس]

الحاجب : مولاي ثمَّ رسولُ
يبغى عليك الدخولُ

السلطان : مِنْ عند مَنْ ؟

الحاجب : لم يُقَلِ
السلطان : ائِذْنٌ له فليَدْخُلِ

الرسول : [بعد أن يدخل]

تَحِيَّةٌ تُهْدَى إِلَى السلطانِ
من سيدى «ريدا» العظيمِ الشَّانِ
مَعى كِتَابٌ

السلطان : فَضَّاهُ يَا بَهَاءُ^(١)

واتلُ علينا ما به من هُراءِ

البهاء زهير : [بعد أن يفضَّ الخطاب يقرأ بصوت جهورى]

(١) هو بهاء الدين زهير الشاعر المعروف ، وتروى كتب التاريخ أنه كُتِّفَ من قِبَلِ
السلطان صياغة الرد ، والكتاب ورده مثبتات في الكتب . ولا يخرجان عما أوردناه
في المسرحية .

مِنْ «لُؤَيْسٍ» حَامِي حِمَى الصُّلْبَانِ

عَاهِلِ «السَّيْنِ» صَاحِبِ الصَّوْلَجَانِ

أَنَا حَامِي الْإِنْجِيلِ فِي الْأَرْضِ طَرًّا

وَعَلَيْهِ الْمَسِيحُ قَدْ وَلَّانِي

أَنَا بِاسْمِ الثَّالُوثِ قَدْ جِئْتُ أَغْزُو

مِصْرَ وَاسْمِ الصَّلِيبِ وَالْفَاتِكَانِ

يَا بَنَ أَيُّوبَ قَدْ عَدَوْتَ عَلَى الْقُدِّ

سَ وَمَنْ فِيهِ أَيْمًا عِدَوَانِ

إِنَّمَا الْقُدُّسُ يَا بَنَ أَيُّوبَ يَتَى

وَهُوَ إِرْثٌ لِي مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ

أَنْتَ بِاسْمِ الْإِسْلَامِ أَفْسَدْتَ فِي الْأَرْضِ

ضَ وَبِاسْمِ النَّبِيِّ وَالْقُرْآنِ

إِنَّ مِصْرًا وَإِنْ حَكَامَ مِصْرٍ

سَبَبٌ فِي تَنَاحِرِ الْأَدْيَانِ

جِئْتُكُمْ غَازِيًا بِجَيْشٍ كَثِيفٍ

يَتَدَاوِي أَمَامَهُ الْهَرَمَانِ

فتداركُ أمرَ البلادِ وسلمُ
واطلبوا الصُّلَحَ تظفروا بالأمانِ
فإذا ما أُيِّتَ نصحيُ جعلتُ اللهَ
مَ يجرى في مصرَ كالغدرانِ
سائلوا أرضَ « طارق بن زيادِ »
كم أهنتُ الإسلامَ أيَّ هوانِ

الشيخ عز :	لقد طغى لقد فجرَ
أصوات :	سوف نُذيقُهُ العِزَّ
أصوات :	الويلُ للعَينِ
أصوات :	الموتُ للغازينِ
السلطان :	أُتِمَّتَ هذا الخطابُ
البهاء زهير :	نعمَ
السلطان :	وإليكَ الجوابُ
السلطان :	[وزهير يكتب]

قد سمعنا ما قلتَ من هَذَيانِ
اتركُ الدينَ فهوَ للديانِ

ليس عندي على خطابك ردٌّ
غيرُ لفظين صارمٍ وسنانٍ
ليس ردِّي ما تسمعُ الأذنانِ
إن ردِّي ما تبصرُ العينانِ

السلطان : يحتم الخطاب ثم يسلمه إلى الرسول فيأخذه ويتصرف

السلطان : [الشيخ عز] يا ابن عبد السلام هات العظاتِ
هاتِ حكمَ الجهادِ في الشرعِ هاتِ
حُسنَ الشعبِ

الشيخ عز : [السلطان] لا يريدُ حماساً
فهو نارٌ مشبوبةُ الجمراتِ
الشيخ عز : [لوفود الشعب بصوت جهوري]

أيُّها الشعبُ أنتَ شعبُ « صلاح الد
ين » شعبُ المواقفِ الخالداتِ
أنتَ شطُّ الأمانِ في كل خطبٍ
وعليكِ التعويلُ في الأزماتِ
قد غزانا الغزاةُ والدينُ يقضي
بوجوب الجهادِ ضدَّ الغزاةِ

النفير النفير . ذلك فرض
مثل فرض الصيام والصلوات
كلنا اليوم عسكر يشهر السيـ
ف صقيلاً على رقاب العداة

أعلنوها على المنابر جهراً
وأطيلوا الدعاء في الجمعات
اسألوا الله كل نصر لمصر
وعليه إجابة الدعوات

وانتمو يا معشر القواد
أين نرذ غارة الأعدى ؟
في أي بلدة من البلاد ؟

شجرة الدر

نعم

أجيب

تقدمي برأيك المصيب

إن كان لي رأي مع الرجال

فلنعقد العزم على الترحال

السلطان :

السلطان :

شجرة الدر :

السلطان :

شجرة الدر :

نترك أشمومَ وتغشى القاهرةُ
ونزقُ القومَ بعينِ ساهرةٍ
فإنها موفورةُ الأقواتِ
وذاك من عواملِ الثَّباتِ
ليس من الصوابِ أن نبقى هنا
فقد تطولُ مدَّةُ الحربِ بنا

السلطان : [افتخر الدين]

وما الذى يراهُ نخر الدين ؟
نخر الدين : رأي كراى الحرَمِ المصونِ
نرحل كما نُقرى الأعدى
ونستعدُّ كلَّ الاستعدادِ
حتى إذا جيشُ عدوِّنا حضرَ
يكونُ قد أنهكه طولُ السفرِ
فإن يكن لنا على الخصمِ الظفرُ
فذاك كلُّ قصدنا . وإنْ ظهرَ
فإننا فى معقلٍ أمينِ
نلوذ بالأسوارِ والحصونِ

حتى إذا عزمُ العدو انهارا
لم يُنبقِ من جنوده ديارا

السلطان : [نيرس]

« ييرس »

ييرس : [في حماس] مولاي عارُ أَيْما عارِ
بقاؤنا خاف أسوارِ وأحجارِ
شدُّوا الرحالَ إلى « دمياط » فنقذها

بكلِّ ماضٍ رقيق الحدِّ بتارِ
أين الذي يدفع الأعداء عن كُثبِ
ممنَّ يصول عليهم صولة الضَّارِ
لسنا ندافعهم لكن نهاجهم
فلا يدافعُ إلا كلُّ خوَّارِ
إنَّ القعود إذا طال الزمانُ به
يُغري العدوَّ ويُطفي عزمنا الواري
لا تُوهنوا الجيشَ بل شدُّوا عزمته
النَّفخُ في التُّربِ غيرُ النَّفخِ في النارِ

السلطان : [للشيخ عز]

ما رأى شيخ الشيوخ العزُّ

نتَّفَقُ

الشيخ عز :

فما أصابَ نجاحًا قومٌ افترقوا

إذا بقينا هنا زاد العدا طمعًا

وشكَّ في أمرنا شعبٌ بنا يثقُ

وكيف والشعبُ نيرانٌ مَوْجِجَةٌ

يكادُ من شوقه للحرب يَحْتَرِقُ

هنا على القربِ من أشمومٍ حاضرةٌ

أخرى عليها شروط النصر تنطبقُ

أسطولنا رابضٌ فيها وموقعها

يدعو إلى الأمن لا خوفٌ ولا قلقُ

والنصرُ طيُّ اسمها فامضوا على عجل

بنا إليها

إلى المنصورة انطلقوا

السلطان : [بصوت حازم]

أصوات : هيا إلى المنصورة هيا إلى المنصورة

الجمهور : [ينشد هذا النشيد]

هَيَّا إِلَى الْمَنْصُورَةِ قَوَّاتُنَا مَنْصُورَةٌ
أَعْدَاؤُنَا مَقْهُورَةٌ هَيَّا إِلَى الْمَنْصُورَةِ

يَا شَعْبَ وَادِي النِّيلِ يَا فخرَ هَذَا الْجِيَلِ
يَا شِبْهَ أُسْدِ الْغِيَلِ هَيَّا إِلَى الْمَنْصُورَةِ

نَحْمِي حِمَى الْأَوْطَانِ بِالسَّيْفِ وَالْإِيمَانِ
وَالرُّوحِ وَالْأَبْدَانِ هَيَّا إِلَى الْمَنْصُورَةِ

نَحْمِي حِمَى الْإِسْلَامِ وَالنِّيلِ وَالْأَهْرَامِ
بِالْعَزْمِ وَالْإِقْدَامِ هَيَّا إِلَى الْمَنْصُورَةِ

هَيَّا إِلَى الْمَنْصُورَةِ قَوَّاتُنَا مَنْصُورَةٌ
أَعْدَاؤُنَا مَقْهُورَةٌ هَيَّا إِلَى الْمَنْصُورَةِ

[ستار]

الفصل الثاني

النظر : بهو في قصر السلطان بالمنصورة . الوقت صباح
الجناسوسان يدخلان يسترقان الخطو

- الأول : [في همس] اليومَ نجمُ الدينَ يَقْضِي أوْغَدَا
نَفْسٌ كَحَيْطِ الْعَنْكَبُوتِ تَرْدَدَا
الثاني : بَشْرَاكَ . فَلْتَذْهَبْ إِلَى الشَّيْطَانِ يَا
سُلْطَانَ مِصْرَ
الأول : لَقَدْ عَصَى وَتَمَرَّدَا
عَرْضَ الْأَمَانِ عَلَيْهِ مَوْلَانَا فَلَمْ
يَقْبَلْهُ بَلْ أَرْغَى اللَّعِينُ وَأَزِيدَا
الثاني : لِمَ يَقْبَلُ التَّسْلِيمَ ؟ إِنَّ جُنُودَهُ
صَدَدَتْ وَكَانَتْ أَظُنُّهَا لَنْ تَصُدَّ
الأول : الْحَرْبُ مَا زَالَتْ سَبْجَالَا يَبْتَنَّا
لَكِنْ أَرَى فِي أَفْقِنَا نَجْمًا بَدَا

الثاني : ماذا ؟

الأول : أعنى موته فالجيش إن

يُفَجَّعُ بِقَائِدِهِ وَهِيَ وَتَبَدَّدَا

الثاني : لكن سواد الشعب حتى لم يَمُتْ

هيهات جمره عزمه أن تَحْمُدا

الشعبُ يضرب بالسيوف وبالقنا

بل بالصخور وبالفتوس وبالمدى

الأول : ويدبُّ في جُحِ الظلام ويختبئ

مثل الأفاعى لا تحس له صدى

الثاني : ولقد رأيت البعض يقذف بالظى

ومن السطوح يصب جمرًا موقدا

الأول : هوّن عليك فإن موتَ مليكِهِ

معناه أن النصرَ مدٌّ لنا يدا

الثاني : أملْ. وأرجو أن يُصِيبَ. فإن يَطِشْ

ضاعتْ لعمريك حملتنا سُدى

لا تنسَ جَوَلاتِ الممالكِ التى

وقفتْ. تقدّمَ جيشنا فتجمدا

الأول .

ويلاهُ قد أبصرتُ بين صفوفهم
بالأمس مملوكاً وسيماً أمرداً
شاهدتهُ كالليثِ في ساح الوغى
يسقى الفرنسيين أكوابَ الردى
ومن العجبية أتى شاهدتهُ
يُخصي الضحايا في الوغى متعمداً
يبرى الروسَ بسيفه فإذا هوت
حسبَ الروسَ على الصعيد وعدداً
ماذا يريدُ من الحساب ؟ لعله
يتعلمُ الأرقام في هام العدا

الثانى :

« بيبرس » تعنى ؟ ويله منى فقد
بلغَ المدى في القتك بل جازَ المدى
أبصرتهُ بالأمس يفتك وحدهُ
بثلاثة من أسرتى أو أزيذا

الأول :

ماذا تُعدُّ له ؟

الثانى :

كينا باسلاً

من جيشنا فى جنح ليل أسوداً

وأقول « تاج الملك » كانت ها هنا

تمشى وما رَجَعَتْ فيذهب مفردا

الأول : إن القتي صبُّ بها متولِّه

في الحب يُرخصُ روحه فيها فدى

الثاني : فإذا مضى للبحث عنها مفردا

وجدَ الكمين له هناك ترصُّدا

وبذاك يأمنُ جيشنا من شرِّه

الأول : وزريخة من حبِّها طولَ المدى

الثاني : [في سغرية] كما ينامِ النومة الكبرى فلا

يشكو الصدودَ ولا يبيتَ مسهدا

الأول : افعلْ تعهدك المسيح بنفحة

منه وبارك في خطاك وسددا

الثاني : هيا بنا إني لأسمع صيحة

في القصر

الأول : علَّ النَّزْعَ فيه قد ابتدا

[يخرج الجانوسان، وتدخل شجرة الدار في حسرة وتوجع]

شجرة الدر :

ويلاهْ جلَّ الخطبُ طاش رجائي

لم يجذِ « نجم الدين » أيُّ دواء

أنهني عليه وهو في غيبوبة

يهذي بذكر الحرب والأعداء

يهذي بذكر النصر فوق فراشه

ويقولُ : جيشي وهو في إغناء

أيموتُ والهيجاء دائرة الرّحى

وجنوده تصلى لظى الهيجاء ؟

أنهني على الرُّبان يلفظُ رُوحه

والقلكُ بين الماء والأنواء

[يدخل السلطان وهو يترنح بين أقطاي وعز الدين أيك وهما يسندانه]

شجرة الدر : [في ثورة] « أقطاي عز الدين » فيم أتيتم ؟

عودًا بهِ عودًا بلا إبطاء

أقطاي : حاولتُ سيدي وحاولَ « أيبك »

لكن أبي السلطانُ أيَّ إباء

أيبك : نفَضَ القِراشَ وقام يهذي هاتِفًا

بالعُربِ والإسلامِ رغمَ الداءِ

شجرة الدر: [في لفظة والسلطان في غيبوبة]

أين الهُتافُ؟ وفيمْ طال سكوتُهُ
« أقطاي » أدركني بجرعة ماء

السلطان: [عازيا في تلثم]

إني بخير يا فتى فاهدني

شجرة الدر: [وهي تأخذيده]

ارجع فديتك

السلطان: لست أنتِ فدائي

لكنني أنا اقتديك وأقتدي
أرض الحمى بحشاشتي ودمائي
شجرة الدر: [في رفق] عُدْ معي عُدْ يا حبيبي
حلّ ميعاد الطيب

السلطان: أنا لا أبغى طيباً
أين ميدانُ الحروبِ
« [بعد صمت] » إن لم أُصنِّ بمهندى ويميني

مُلْكِي فلستُ إذن بنجم الدين «
« تحمي الممالكُ ربّها أما أنا
فالمُلْكُ أحييه ولا يحميني »

شجرة الدر:

مولاي حسبك فارجع
قد حان وقت الرجوع
رفقا بنفسك رفقا
ورحمة بدموعي
ما أنت ملك لفرد

السلطان:

بل أنت ملك الجميع
هاتوا جوادى وهاتوا مغفري هاتوا
لم يبق في جسدي برح وعلات
إني برئت وسهم الموت أخطاني
ما مت لكن جنود الشرك قد ماتوا

شجرة الدر:

مولاي رفقا قد أطلت هواني
وأثرت في لواعج الأحزان
يا الله لا تثقل علي ولا على
جثمانك العاني الهزيل الفاني
يا ليت شعري ذاك صحو الموت أم
صحو الشفاء بقدره الرحمن؟
هل أنت واع ما أقول فعامل
بنصيحتي أم أنت في غشيان؟

السلطان : لا لن أعود إلى فراشي تاركاً

جندى يعانى الموت فى الميدان

شجرة الدر : هوّن عليك فإن جندك ظافرٌ

رجحوا على الأعداء فى الميزان

السلطان : [باسماً] حقاً ؟ أشالت كفة الأعداء يا

ليلي وكفة مصر فى رجحان ؟

أين الفرنسيون ؟

شجرة الدر : قد عادوا إلى

أوطانهم بالخزى والخذلان

السلطان : هل عاد « نحر الدين » ؟

شجرة الدر : عاد مظفراً

السلطان : لم يمر بسدة السلطان ؟

شجرة الدر : ما كان فى الإمكان ذاك وأنت فى

هذا الضنا ما كان فى الإمكان

السلطان : « دمياط »

شجرة الدر : قد عادت إلى أربابها

- السلطان : « وَلَوْ يَسُ » أين مضى ؟
- شجرة الدر : إلى الشيطانِ
- السلطان : والقدسُ ؟
- شجرة الدر : باقٍ ما يزال زمامهُ
- السلطان : في قبضة الإسلام لا الصلبانِ
- السلطان : لله ما أحلى حَدِيثِكَ موقعاً
- شجرة الدر : أفتقسمين بأغلظِ الأيمانِ ؟
- شجرة الدر : مولاي زال الداء عنك إلى العدا
- السلطان : ما اعتدتُ قول الزور والبهتانِ
- السلطان : [وهو يسقط ميتاً] الآن أيسمُ للعنيفة فاجعلوا
- شجرة الدر : من أذرعى ومغافرى أكفاني
- شجرة الدر : [وهي تكب عليه في حسرة ونشيج]
- أقطاي : زوجي . حبيبي . سيدى . ملكي
- أقطاي : [بعد أن يتحسسه] قَضَى
- فتذرعى بالصبر والإيمانِ
- عز الدين : [وهو يكي] سببحان من يرثُ الوجودَ وما حوى
- أقطاي : : : هذا قضاءُ الله في الإنسان

شجرة الدر : [ومى تبكى]

بأبى وأبى أفتديك من الردى
لو كان يفدى الميت الأبوان
أدعوك « نجم الدين » مالك صامتاً ؟
لم لا تجيب بصوتك الرنان ؟

عز الدين : [وهو يبكى]

فى جنة الرضوان يا مولاي ما
مثواك إلا جنة الرضوان
أقطاي : . . يا ضيعة الإسلام بعدك والحمى
شجرة الدر : [فى حماسة وانفاسة]

لا لن يضيعا . فيم تلتحبان ؟
كفاً عن الدمع الهتون وسفحه
هيهات تبصر إن بكت عينان
إنى سأمسح عبرى من مقلتي
وغداً تسيل عليه كالطوفان
لا كنت زوجة عاهل إن لم أكن
أرسي من الأهرام فى الحدّثان

لا كنتُ إنْ سلبَ المصَابُ نُهَآىَ أو
ملكْتُ لواعجُهُ علىَّ جنَابِي

شجرة الدر : [اسلطان]

أعزُّ عليَّ بأنْ تودَّعَ نَمَّ لا
تبكيكَ عينُ العارضِ الهَتَّانِ
أعزُّ عليَّ بأنْ تُورَى في الثرى
سرًّا ولا يدرى بك الثقلانِ

شجرة الدر : [لأقطاي وأبيك]

أقطايُ عزَّ الدينُ عونكما فبِي
من لَوْعَتِي وَأَنوُثَتِي ضَعْفَانِ
لا تخذُلَانِي في الشَّدَائِدِ إِنِّي
في حَاجَةٍ قُصْوَى إِلَى الْأَعْوَانِ
أقطاي : أبيكِ مولاتِي مُرِينَا تَظْفَرِي
بالطاعة العمياء والإذعانِ

شجرة الدر : [في جد] إن رمتما نصرَ العروبة والحمى
فعليكما بالسَّتر والكتمانِ

الصالحُ السلطانُ حتى لم يمت
أفهمتُ ما رمتُ ؟ هل تعداني ؟

أبيك : لك وعدٌ حرٌّ سوف نكتمُ موتهُ
فالشرُّ كلُّ الشرِّ في الإعلانِ

شجرة الدر : بل تُقسمانِ الآنَ

أقطاي وأبيك : أقسم جاهداً
باسمِ الإلهِ ونُحْكَمِ القرآنَ

شجرة الدر : إن ذاع هذا السرُّ كان لوقعه
أثرٌ يُقلُّ عزائمُ الفرسانِ

وتنمّر الذوّبانُ من أعدائنا
ناهيكما بتنمّر الذوّبانِ

أقطاي : لا لا تخافي وافعلي ما شئتُ به
ترواك عينُ الواحدِ الديانِ

شجرة الدر : وعليك أن تمضي الأوامرَ باسمه
أتقنتُ ذلك غايةَ الإتيانِ

«توران» ربُّ الهد في «كَيْفِي»^(١)

أبيك :

إذن

فليَمضِ نَجَابٌ إلى «توران»

شجرة الدر : أنبايعان له ؟

أَجَلْ

أقطاي وأبيك :

فَلتُقْسِمَا

شجرة الدر :

أقسمتُ باسم مكوّن الأكوّن

أقطاي وأبيك :

بوركتما . والآن ما تريان في

شجرة الدر :

هذا الشهيد الطاهر الجثمان ؟

تمضي به فيكون فوق فراشه

أقطاي :

ووساده كالنائم الوسنان

حتى إذا الليل البهيم دجا وقد

«أخذَ الكرى بمعاقد الأجفان»

رُحنا نوارى جسمه في التراب

(١) هكذا تكتب وتضبط كما ورد في القاموس المحيط .

أيك :

بل

في أئـلد بين الحور والولدان

شجرة الدر : هيا على اسم الله واسم رسوله
لا تبطنأ . هيا بغير توان

[هنا يخرج أقطاي وأيـك بالجئة من المسرح ولا يعودان]

شجرة الدر : رباه قـو أنوثتي وانظر إلى

ضعني بعين عناية ترعاني
العبيء في عُنقي ثقيل حمله

ما للنساء بكل ذاك يدان

[يدخل صبيح وقد لمح الجئة على كتفي أقطاي وأيـك]

صبيح : [وهو يبكي]

« أقطاي عز الدين » يا

وجـة الغراب الأسـحم
ما تحمـلان ؟ حملاً
مولاي نجم الأنجم

شجرة الدر : [تلطمه]

لا تزعج الدنيا بصـو
تك . صـة ولا تكلم

مولاك حتى لم يمت

أفهمت أم لم تفهم ؟

صبيح : [في ذمهم] مولاي حتى لم يمت

لك ما أردت تحكي

سما ساكتة امرأة

والموت إن لم تكتم

شجرة الدر :

ماذا أتى بك ها هنا ؟

يا ليتني لم أقدم

صبيح :

إني أتيت مبشراً

بالنصر من رب العباد

قد جئت مولاتي لأفـ

تمح باب سجنى للأعادي

عدد الأسارى كل يو

م في نمو وازدياد

قد جاء مولانا بهم

كالنمل عددا والجراد

معهم وفودٌ من مسوا

د الشعب

شجرة الدر: بُورك في السواد

وأين شيخُ الشيوخ العزُّ

صليح : ينتظرُ

في معشر من سواد الشعب قد حضروا

[هنا تسمع الهتافات الآتية] :

تحيا الأوطانُ عاش السلطانُ

الموت للغازين من سيف نجم الدين

النصرُ لمصرُ لمصرُ ولمصرُ النصرُ

شجرة الدر: فليدخل الشيخُ

صليح : أقبل لا عديمتك يا

شيخ الشيوخ

الشيخ عز : [يدخل معه الوفود] سلامُ الله يا شَجَرُ

جئنا إلى ساحة السلطان فلتنمها

شجرة الدر: [للشيخ عز]

... أقبل على الرُعب

شجر الدر: [الوفود] مرحى أيها نفرُ

الشيخ عز :

جئنا إلى حَرَمِ السلطان فهو لنا
بيتٌ نَحْجُّ إليه ثم نعتَمِرُ
إنا بصارمِ « نجم الدين » نضربُ في

ساح الوغى

شجرة الدر :

بل بعزم الشعب نتصِرُ
كم تشتهي مقلّة السلطان رؤيتكم
لولا الضنا عاقه

الوفد :

لامسه ضررُ

الشيخ عز :

إنا ظفِرنا بأسرى من كبارهم
جئنا نقدّمهم

شجرة الدر :

يهنيكم الظفرُ
ما أشجعَ الشعبَ ما أذكى حماستهُ

الشيخ عز :

الشعبُ نار على الأعداء تستعرُ

أهل الكنانة يشقى المعتدون بهم
كانهم في جنوب المعتدى إبرُ

شجرة الدر :

إبت الشجاعة تجرى في عروقهم
جرى الدماء عليها القوم قد فطروا

الشيخ عز : أقسمتُ أنَّ الفرنسيين مذ دخلوا

لا يهدون ولا يصفو لهم كدرُ
كم هوّموا فأفضَّ الشعبُ مضجعهم
لا سِيا في الدجى والليل معتكرُ

أحد الوفود :

إن السماء لتَهْمِي فوقَ أرؤسهم
حجارةً . كلُّ رأس فوقه حجرُ

ثان :

فتوسنا في دم الأعداء قد ولّغَتْ
لا فأس إلا بها من لونه أثرُ

ثالث :

أما السطوحُ فقد كانت معاقلنا
ينصبُّ منها على أعدائنا الشررُ
من كلِّ سطح شواظٌ سحَّ وابلهُ

كأنه فوق هامات العدا مطرُ

رابع :

والنيلُ ما كان إلا من ذخائرنا
كأنه في يدينا صارمٌ ذكرُ
ما فاضَ إلا قطعنا جسره فإذا

بالماء من حولهم كالسيل ينهمرُ

خامس :

كم أغرق النيلُ للأعداء من مؤنٍ
وراح يظنى فلا زرع ولا ثمرُ

الشيخ عز : تَفْتَنَ الشعب في حرب العدو فلا
يكادُ يدركُ ما يأتي به بشرُ

سادس : [وهو يضحك ويمثل يديه]

أدخلتُ رأسي في بطيخةٍ وطَفَتُ
فوقَ العبابِ وجسمي فيه مُسْتَقِرُّ
وحيثُ جاءَ فرَنسيٌّ ليأخذَها
تركتهُ وهوَ في الأمواجِ يُحْتَضِرُ^(١)

امرأة من الوفد :

أما النساء فلم تتركِ بمـولتِها
ترجلُ الغيدُ لا دليلاً ولا خَفَرُ
صار الخضابُ بأيدي الغانيات دماً
كأنما كلُّ شيءٍ في الحمى نَمِرُ
شجرة الدر : نعم صدقتِ فبنتُ النيلِ مفخرةٌ

للنيل

المرأة : بل بكِ أنتِ النيلِ يفتخرُ
شجرة الدر : أين الأسارى ؟

(١) هذه الحكاية مأثورة لا من لدن الخيال .

الشيخ عز :

كثير ما لهم عدد

لو يحصر الرمل في البيداء ما حصرُوا

لو أنهم حضروا ضاق الفضاء بهم

لكن أولئك قواد لهم خطر

[هنا يوق الشعب الأسارى أمام شجرة الدر]

شجرة الدر :

« صبيح » أنت عليهم قيم ولهم

حقوقهم

صبيح : [لنفسه في تهكم]

عن ضياع الحق اعتذر

تظن سيدتى أنى سأنزلهم

بالخلد حيث الجنى والظل والشمر

[هنا تنصرف شجرة الدر والوفد والشيخ عز ويبقى مع

صبيح حارسان فقط]

[صبيح يأتى بكل فرد من الأسارى أمام الجمهور ويخرجه

من باب آخر كأنه يحجزهم في حجرة]

صبيح : [للأول وهو يصفه]

أقدم على «صبيح» بوجهك المليح

صبيح : [للثانى وهو يصفه]

وأنت بلغ سلامى إلى «لويس» الهام

صليح : [الثالث وهو يصفه]
خُذْ هَذِهِ التَّحِيَّةَ عَاطِرَةً زَكِيَّةً

صليح : [الرابع وهو يصفه]
أَنْتِ شَرَفْتَ الدِّيارَ يَا شَيْهًا بِالْعِذارِ

صليح : [الخامس وهو يصفه]
مَا اسْمُكَ يَا بَنَ الْكِرَامِ
« أَرْمَانُ »

صليح :
عَاشَتْ الْأَسامي

صليح : [السادس وهو يصدق عليه]
يَا سَحْنَةَ الْغِوانِ اتَّقُوا عَلَى الْجِبانِ

صليح : [السابع وهو يركله]
خُذْ رُكْلَةً مِنْ قَدَمِي تَشْفِيكَ عِنْدَ السَّقَمِ

صليح : [الثامن : يصفه]
وَأَنْتِ يَا هَامَ خُذْ ذَلِكَ الْوَسَامَ

صليح : [التاسع : يصفه]
وَهَذِهِ يَا صَاحَ تَحِيَّةُ الصَّبَاحِ

صليح : [العاشر : يصفه]
إِنِّي أَحْيَى ضَيْفِي بِصَفْعَةٍ مِنْ كَفِّي

أحد الأسارى : [الأخير]

أهكذا تعامل الأسارى

مصرُ التي قد حمت الأمصارا ؟

صليح : [وهو يملكه]

أخسأ كفاك ذلةً وعاراً

أنك جئتَ تبتغى استعمارا

فيمَ قدِمتمُ هذه الديارا ؟

أغضبتُم الإسلام والنصارى

صليح : [بعد فترة]

هيا إلى « دار ابن لقمان » معي

نلهُ بها هنيئة ونرتج

هيا معي وحقَّ ذمة العـرب

لأعطينكم دروساً في الأدب

[هنا تدخل أنعام وأنعام وقد شاهدتا المنظر الأخير من إهانة الأسرى]

أنعام : صليحُ ما تفعلُ يا صليحُ

رققاً بهم

أنعام : ما ذلك التبريحُ ؟

صليح : [في تهكم]

أسرفتِ في العطف وفي الخفاف

غانيةً تحنو على غواني

لا تعطفنا يوماً على قرْنسِي
وإِن يَكُنْ مثَلَكُمَا فِي الْجَنَسِ

[ينصرف صبيح والحارسان وتبقى أقدام وأنعام وحدهما]

حروبٌ تُشَبُّ ونَحْنُ الوقُودُ : أنعام :
أليس لتلك المآمى حدودٌ؟

لَهُ الْحَمْدُ رَبِّي عَلَى كُلِّ حَالٍ : أنعام :
فقد خاب فآلُ العدوِّ اللدودِ

لَقَدْ أَثَبَّتْ مَضْرُ للغرب أنْ
لمصرَ مكاتِها فِي الوجودِ
وَأَن تَرَاهَا حَمَى لَا يَدَاسُ
كَمَا لَا يَدَاسُ عَرِينُ الْأَسودِ

رَبُّكَ لَا تَعْجَلِ بِالْفَخْرِ : أنعام :
فَمَا زَالَتْ الْحَرْبُ تَطْوِي الْجَنودُ

« فَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا »
وَيَوْمًا نَذَادُ وَيَوْمًا نَذُودُ

وَسُلْطَانُ مِصْرَ طَرِيحِ الْفِرَاشِ : أنعام :
وَلَيْسَ يُعَادُ وَلَسْنَا نَعُودُ : أنعام :

أنسام : لقد نصبت زوجه حوله
سياجا ولكنه من حديد

أنغام : وما شأن « بيترس » ؟

أنسام : صال وصال

وخاض لظاها بعزم شديد

لقد كان يوم اعتداء « فرنسا »

على أرضنا عنده يوم عيد

أنغام : بروح الغيور على أرضه

يصول وروح الحب العميد

أنسام : وأحسب روح الحب لديه

أشد

أنغام : ترى هل ينى بالوعود ؟

أيدفع « بيترس » مهر العروس

كما قدر المهر ؟

أنسام : بل قد يزيد

أنغام : [في خبث] سيقترنان ولو لم يؤد

لها المهر

أنسام : هذا كلام جديد

أنغام : [في خبث]

نعم فهي أمست تهيم غراماً
« بيبرس » تبدى اسمه وتعيد
لقد أصبحت إن صحت باسمه
تقوه وتتلوه عند الرقود
كان اسم « بيبرس » في شفيتها
وفي مسمعيها لعمري نشيد
وترقب طاعته من قريب
وتنشق أخباره من بعيد
ألست ترين ثياب الحديد
وقد أصبحت في أحرار الورود ؟

أنسام : [ضاحكة] لقد سرقت حمرة الشفتين

أنغام : [ضاحكة] بل اصطبغت بأحرار الخلدود

[هنا تدخل تاج الملك]

تاج الملك : أنغام

أنغام : مرحى يا منى أنسام

تاج الملك : أنسام

أنسام : أهلاً يا هوى أنسام

تاج الملك : هل ثمَّ من خبر عن الحرب التي

دارت طحونَ رحيٍّ على الأجسام ؟

أنعام : النصرُ باتَ لمصرَ ييسمُ ثغرُهُ

أنسام : مثلَ ابتسامة ثغرك البسام

تاج الملك : هل ثمَّ عن « بيبرس » من خبر ؟

أنعام : أجَلْ

أخبارُهُ تسرى سُرى الأنسام

يروى المقطمُ عنه كلَّ عشية

خبراً يرنَّ بمسمع الأهرام

تلقنُ الآسادُ في أجماتها

عنه دروس البأس والإقدام

أنسام : عهدى به حرّاً بنى بدمامه

تاج الملك : هيبات ينقضُ موثقى وذمامى

لهفى عليه لقد غدوتُ وطيفهُ

يعتادنى في يقظتى ومنامى

رباهُ ما هذا الشعورُ ؟ لعله

عطفٌ عليه

أنغام : [في خبث] بل شديد هُيام

أنسام : [في خبث]

بادلتِه بعد التَّنْفَار صبايَة

بصبايَة فعدلتِ في الأحكام

أنغام : [في خبث]

رمتُ المِهَاءُ تصيدُ صِرْغام الشرى

فإذا المِهَاءُ فريسةُ الضرغام

تاج الملك : إني لأخشى أن أكون شطَطْتُ في

طلب الفِدا فقصي شهيدَ غرامى .

أنسام : بالله لا تخشَى عليه الحربَ

أنغام : لا

يُخْشَى على أسدٍ من الآجام

[هنا يدخل بيرس]

تاج الملك : [في لهفة] « بيرس »

بيرس : [وهو ياتقها] مولاتى الأميرة

تاج الملك : [وهى تماقه] مرحباً

بك يا فتى ألهي جاء عُدٌ بسلام

أنسام : [وهى منصرفة]

هَيْباً بنا نودّع

أنغام : [وهي منصرفة]

ليس لنا من موضع

أنسام : [وهي منصرفة]

دهى المكان يلتقى

فيه الحبيبان

أنغام : [وهي منصرفة] دعى

تاج الملك : عودٌ سعيدٌ . هل رجعتَ مظفراً

بيبرس : النصرُ أقربُ من سنائكِ أُمَامِي

إني رجعتُ لأستمدَّ الروحَ من

تلك العيون فإنها إلهامِي

عيناكِ مُلهِمَتَايَ في ساح الوغى

معنى اقتحام عبايها المترامِي

عيناكِ نورى حين يُغَطِّشُ ليلها

تخطو على فلقَيهما أقْدَامِي

وإذا ذكركِ والرماحُ تنوشني

يَلْتَامُ جرحى وهو أحمَرُ دَامِي

وإذا ذكرتكِ والسيوفُ نواهلُ

منى فَلَيتُ غرار كلِّ حُسام

وإذا ذكرتُكِ رحّتُ أفتكُ بالعدا
فتكأتِ أسد الغاب بالآرام
« بيبرس » لو أستطيع صُنْتُكِ في الحشا

تاج الملك :

فزلتَ بين جوانحي وعظامي
بالرغم مني أن تخوض غمارها
هدفاً لوقع أسنة وسهام
لكنه وطنٌ وثأر أخ مضى
لم تُنسيني سبعة الأعوام
وطنٌ عزيزٌ حول شاطئه العدا
حلوا حلول الدود في الأكمام
لولا العروبة ما سخوتُ على الوغى
بشبابك الغالى سخاء كرام

بيبرس : [وهو يعاقها]

نفسى قداؤك من لباة عرينه
وفداه حرمة مصر والإسلام
[هنا يدخل جماعة من الشعب والمهاليك يحملون الأمير نجر الدين الجريح (١)]

(١) قيادة نجر الدين للجيش وموته في الحرب حادثان تاريخيان .

صياح بالخارج :

طوبى لفخر الدين الموت للغازين

ويل لأهل السين

فى ذمة الرحمن فى جنة الرضوان

النصر للسلطان

[يسمع الصياح فتهرع شجرة الدر ، وأيك ، وأقطاي ،

وغيرهم من النصر ومنهم البهاء زهير ،]

أقطاي : [فى فزع]

ماذا دهي ليث الشرى ؟

أيك : [فى فزع] ماذا به ماذا جرى ؟

شجرة الدر : [فى حسرة]

مَنْ ذاك فخر الدين يا فظ رَوْحَه . ماذا أرى ؟

أحد الجنود : القائد المغوار زلَّ جواده وتعثَّرا

من بعد ما ضدَّ العدو بعزمه فتقهقرا

ورأى العدو سقوطه فوق الثرى فتتمَّرا

ورماه رام منهمو غدراً وولى مدبراً

فخر الدين : [وهو فى التزع ينظر لشجرة الدر]

مَنْ أَنْتِ ؟ مولاتى ؟ أسوتِ جراحى

ويعثني من عالم الأرواح

مِنِّي عَلَى السُّلْطَانِ أَلْفُ تَحِيَّةٍ
 مِنْ نَفْسٍ غَالِيَةٍ وَنَشْرٍ أَقْاحِي
 قَبُولِي لَهُ مَوْلَاكَ بَاعَ حَيَاتَهُ
 فِي نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ بَيْعَ سَمَاحٍ
 قَبُولِي لَهُ غَسَلْتُ دِمَائِي زَلَّتِي
 وَمَحَا ذُنُوبِي مِنْ جِرَاحِي مَا حِ
 اللَّهُ يَعْلَمُ مَا وَنَيْتُ عَنْ الْوَغَى
 .. يَوْمًا وَلَا قَصَّرْتُ عِنْدَ كِفَاحٍ
 وَلَئِنْ قَضَيْتُ فَقَدْ قَضَيْتُ لِبَانَتِي
 وَخَضَعْتُ مِنْ دَمٍ قَاتِلٍ سِلَاحِي
 رَوَيْتُ مِنْ دَمِهِمْ غِرَارَ مَهْنَدِي
 وَشَرِبْتُهُ بِالسُّكَّاسِ شَرِبَ الرَّاحِ
 يَا أَيُّهَا الْمَوْتُ اقْتَرِبْ مِنِّي فَمَا
 أَشْهَى النَّفَايَا عِنْدَ جَنْدِ صَلَاحٍ
 يَا مِصْرُ إِنَّ الْمَوْتَ فَيْكَ شَهَادَةٌ
 نَفْنَى وَيَبْقَى وَجْهُ مِصْرَ الضَّاحِي
 حَسْبِي عِزَاءٌ أَنْ تُوَارِيَّ أُعْظَمِي
 فِي تَرْبِ مِصْرَ الْعَاطِرِ الْقَوَاحِ

خُطُّوا ضَرْيَحِي فِي ثَرَاهَا وَادْفَنُوا
فِيهِ مَعِي سَيْفِي وَسُمْرَ رِمَاحِي

[نَحَرَ الدِّينَ يَلْفِظُ النَّفْسَ الْآخِرَ ، شَجَرَةُ الدَّرِّ تَنْعَى عَلَيْهِ]

شَجَرَةُ الدَّرِّ : [فِي حَسْرَةٍ]

سَكَتَ اللَّيْثُ الْهَمَامُ

أَحَدَ الْمُجْتَمِعِينَ : [فِي حَسْرَةٍ]

فَعَلَى اللَّيْثِ السَّلَامُ

ثَانٍ : اذْرِفُوا الدَّمْعَ الْغَزِيرَ

ثَالِثٌ : هُوَ بِاللَّدْمَعِ جَدِيرٌ

الْبَهَاءُ زَهِيرٌ : [يُؤَبِّنُهُ]

لَنْ جَنْدَلَ الْأَعْدَاءُ مِنَّا غَضَنْفَرًا

فَمَا أَكْثَرَ الْأَسْدَ الَّتِي تَكَلُّ الشَّرَّ

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْثُ الْجَرِيحُ تَحِيَّةٌ

عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ يُوَارِيكَ الثَّرَى

رَوَيْدُكَ حَتَّى تُحَرِّزَ النُّصْرَ لِلْحَمَى

وَتَحْمَى لِلْإِسْلَامِ سَيْفًا وَمَنْبَرًا

لَقَدْ فَقَدْتَ مِصْرَ بَفَقْدِكَ أُمَّةً

فَقَدْ كُنْتَ لِلْأَوْطَانِ وَحْدَكَ عَسْكَرًا

اتسقط في الحرب العوان مضرّجاً
 وما عرفتكَ الحربُ إلا مظفراً
 على روح « نخر الدين » ألفُ تحيةٍ
 فقد كان درّعاً للبلاد ومنقراً
 وما مات إلا بعد أن أنقذا الحمى
 وهياً للإسلام نصراً مؤزراً
 ألا لا تُريقوا الدمع حول رُفاته
 فإني رأيتُ الدمع للضعف مظفراً
 ولكن خذوا الدّرب الذي كان سائراً
 عليه إلى أن يبلغ العلمُ الذّراً
 ويظهر شطّ النيل من شبح العدا
 فقد دنّسوا هذا الأديم المطهراً

أحد الحاضرين :

أجذت في شعرك يا بهاء
 أحسنت كلّ الحسن في الرثاء
 أنصفت يا « زهير » « نخر الدين »
 كفّوا عن الرثاء والتأبين

ثان :

ثالث :

شجرة الدر :

وجَهَّزُوا هَذَا الرِّفَاتَ الطَّاهِرَا
ووسَّدوه تُرْبَ مصرَ العاطِرا
يُكَفِّنُ القَائِدُ فِي لَوَائِهِ
وجيشَهُ يسيرُ من ورائِهِ

[في أثناء ذلك تحمل جثة نحر الدين خارج المسرح]

شجرة الدر :
يَا أَيُّهَا القَوَادُ قَوَادَ الحِمَى
كفُّوا مَدَامِعَكُمْ وفضوا المَأْتِمَا
لا تُنْسِنَا الأَحْزَانُ أَنَّ عَدَوَّنَا
ما زال في شَطِّ البلاد مُنْجِمًا
القائدُ المَفْوارُ فاضت رُوحُهُ
وأقام في دار الخُلُود منعمًا
والجيشُ جيشُ النيل يطلبُ قائِداً
منكم لينقِضَ في الأمور وَيَبْرِمَا
إن لم تَبْتُوا الآن يَذْهَبُ غَيْلُكُمْ
يا قَومُ نَهَبًا للعَدُوِّ مَقْسَمًا
فتدارِكُوا رُوحَ الجنودِ فَإِنِّي
أخشى عليها اليومَ أَنْ تَحْطَأَ

أحد الجنود : ^(١) « أقطاي » قائد جيشنا
 ثان : بل أئيبك
 ثالث : [مشيراً إلى أئيبك]
 ولوا أمور الجيش هذا الضيفنا
 رابع : كلاً لعمري لا يليها « أئيبك »
 شجرة الدر : إني أرى أمر الخلاف استحكماً
 الأمر للسلطان فليَرَ رأيه
 أحد الموجودين :

يَشْفِيهِ مِنْ أَوْصَابِهِ رَبُّ السَّمَاءِ
 [هنا تخرج شجرة الدر كأنها تستطلع السلطان رأيه]
 أقطاي : إن القيادة لي
 أحد الموجودين : وإنك ربها
 ثان : مَنْ قَالَ قَوْلًا غَيْرَ ذَلِكَ أَجْرَمًا
 أقطاي : عجيباً أتَنَسَى مِصْرُ أَنِّي لِيُهَا
 في الخطب إن خطب بمصر تازماً
 يا مصرُ لا تنسَيْ بِلَائِي فِي الْوَعْدِ
 كم ذدتُ جيشاً عن حماك عَرَمَرَمًا

(١) هذا الحوار يمثل جانباً حقيقياً مما كان عليه أمر الممالك من الخلاف .

لى من جهادى صفحة ذهبية
فى الحرب خطتها الصوارم بالدماء
وإذا استحرَّ القتل واشتَبَكَ القنا
نادَوْا فسكنتُ أنا الشجاع المُعلِّم
إن يملك غيرى الزَّمام فإننى
أخشى على جيش الحمى أن يهزَمَا

أبيك : [متعدياً]

لا تُسلِّمُوا غيرى الزَّمام فإننى
أخشى على الأوطان ألا تسَلِّمَا
«أقطاي» دع عنك الخلف ولا تكن
ياثارة الشحاء صبًّا مفرمًا
إن كنت «ياأقطاي» تجهل من أنا
فسل الصوارم والقنا كى تعلما
تدرى السكناة منزلى إن كنت لا
تدرى وسل هرمًا بها ومقطمًا
ماللحسام العضبِ إلا ساعدى
ويدى إذا النقع ادلهم وأظلمًا

فاخسأُ واخلُ خصومتى من قبل أن
تدعى بنانك بالعضاضِ وتندما

أقطاي : [شاهرا سيفه]

السيفُ يفصلُ في القضية بيننا

أبيك : [شاهرا سيفه] نعم الحسامُ المشرقيُّ محكمًا

أقطاي : [وما يتبارزان]

أقدم على « أقطاي » أمك هابلُ

أبيك : [وما يتبارزان]

ما كان عزُّ الدين يوماً مُحجماً

يبرس : [وهو يحول بينهما]

ماذاك ويحكما ؟ دعا سيفيكما

لوذا بأهداب السكينة واحلما

تتنازعان فتفشلان وينتهى

أمرُ البلادِ . خستما وهلكتما

تتصارعان على القيادة والعدا

يتربصون تربصاً بكليكما

ماذا يقول الشعب عنا وهو في

وقت الشدائد عروة لن تُقصما ؟

فَلْيَعْمَلِ الشَّعْبُ الْمَكَافِحَ وَحَدَهُ
فَالشَّعْبُ فِي مِصْرٍ غَنِيٌّ عَنْكَ
أَخْلَقَ بِشَعْبٍ بِاسِلٍ حَكَّامُهُ
تَجْنِي عَلَيْهِ أَنْ يَشُورَ وَيَنْقِمَا

[هنا تدخل شجرة الدر ويدها مرسوم مخطوط (١)]

أحد الحاضرين :

القولُ قولُ مليكنا المحبوب
ثان : « قَطَعْتُ جَهِيْزَةً قَوْلَ كُلِّ خَطِيْبٍ »

شجرة الدر : مرسوم مولانا شفاء الله
خَطَّتُهُ فِي قَرْطَاسِهِ يَمْنَاهُ

شجرة الدر : [وهي تقرأ]

« نَحْنُ سُلْطَانُ مِصْرَ وَالِي الْوُلَاةِ
قَدْ أَمَرْنَا أَمْرًا بِمَا هُوَ آتٍ »
« أَنْ تَطِيعَ الْجُنُودُ بَرًّا وَبَحْرًا
أَمْرَ « بِيْرَس » قَائِدِ الْقُوَّاتِ »

بيبرس : شكرًا لمولاي العظيم الشان
مِنْ بَعْدِ شُكْرِ الْوَاحِدِ الدِّيَّانِ

(١) مسألة المراسيم الزائفة التي كانت تصدرها شجرة الدر وتوقعها باسم السلطان حقيقة تاريخية.

رُوحِي وَجُثَانِي وَمَا مَلَكَتْ يَدِي

وَمَوَاهِي وَقِفْتُ عَلَى أَوْطَانِي

أَقْطَايَ : [متعديا]

مَا ذَلِكَ الْمَرْسُومُ ؟

أَيْبِكَ : [متعديا]

مَنْ أَمْضَاءُ مِنْ ؟

شَجَرَةُ الدَّرَّةِ : [فِي حَزْمٍ وَصَرَامَةٍ]

أَتَجَاهِرَانِ الْآنَ بِالْعَصِيَانِ ؟

أَنْسَيْتُمَا الْقِسْمَ الَّذِي أَقْسَمْتُمَا

بِاسْمِ الْإِلَهِ وَمَحْكَمِ الْقُرْآنِ

أَقْطَايَ : [فِي اسْتِغْنَاءٍ]

طَوْعًا لِأَمْرِكَ

أَيْبِكَ : [فِي اسْتِغْنَاءٍ]

إِنْ أَمْرُكَ نَافِذٌ

شَجَرَةُ الدَّرَّةِ : [فِي حَزْمٍ وَاصْرَامَةٍ]

بَلْ طَاعِنَةٌ لِأُؤَامِرِ السُّلْطَانِ

[سِتَار]

الفصل الثالث

المظر : هو منظر الفصل الثاني نفسه : بهو في قصر
السلطان بالمنصورة . في الصدر منصة الملك
حول المنصة شموع . الوقت وقت الصباح

[الجاسوسان يدخلان في حذر]

الأول : ويلّ لنا فالخطبُ جَلُّ

الثاني : لا تَتَنَبَّأُ بالفشَلُ

ما زال في الوقت أما مِنَّا مجالٌ للعملِ

متى عَدِمْنَا النصرَ بالسِّيفِ نَصِيدُهُ بالحيلِ

الأول : الضربُ فوقَ هامنا كأنه غيثٌ هَطَلُ

كم أَسَرَ الشَّعْبُ جنو دأ من « فرنسا » وقتلُ

قد بلغ القتلُ ألو فَا وَأَلُوفا لا أَقْلُ^(١)

صرعى الصخور والقثو من والسيوف والأسلُ

الثاني : يا شعبَ وادى النيل لا برحتَ في ضيمٍ وذُلِّ

(١) ورد في كتب التاريخ أن القتل في بعض مواقع المنصورة بلغ زهاء خمسين ألفاً .

الشعبُ كان وحدهُ مصدرَ خيبة الأملِ
هو الذي قد علَّ من دماثنا وقد نهَلْ
لولا كفاحُ أهله ما كان جيشنا انخذَلْ
الأول : أما ترى سلطانهم راحَ ضحِيَّةَ العللِ ؟
ما يصنعُ المريضُ في الـ حربٍ بجسمه الأشلِ
الثاني : وحين مات نهَضَتْ بالعبءِ أنثى ذاتُ دَلْ
ومنذُ ماتَ زوجها تبحثُ في غير خجلِ
عن رجُلٍ

الأول : عن رجلٍ ؟ أمامها ألفُ رجلٍ
الثاني : ومنَ أتى من بعدها طفلٌ غريزٌ ما اكتمَلْ
الأول : « تورانُ » تستقلُّه جنودهُ ثِقَلُ الجبلِ
الثاني : لقد عرفتُ أنه بالشعرِ يلهو والغزلِ^(١)
وأَنَّهُ بحربِ جنـ سده الممالكِ اشتغلِ
الأول : أما الممالكِ فهم من مللٍ ومن نحَلِ
وكلَّ يومٍ بينهم نارُ الخلافِ تشتعلِ

(١) تقول كتب التاريخ إن « توران شاه » كان أشبه بابن المعتز في أدبه وسوء طالعهِ وتورد له شعراً .

- الثانى : ما فى الممالك جميعاً
الاول : ألم يزل « بيبرس » حياً
ألم تقل سأحتسى
الثانى : قد كنت أحكم الشبا
أعددت كلَّ عُدَّةٍ
[فى تهديد وضغط]
اليوم يلتقى حتفه الـ
الاول : ونفرة الجيش من السـ
الثانى : أصبت فياً قلته
يرضيك أن نوقع يـ
الاول :
الثانى : فلنتهزها فرصة
النصر للسين إذا الـ
الاول : إن نجحت فتنتنا
الثانى : فلنحكم التدبير إجماعاً
الاول : ياليت شعى ما ليد
الثانى : إن تهزم فى هذه الـ
الاول : وقد ترى « لوييس » محـ
- حماً غير « بيبرس » بطل
ألم يزل « بيبرس » حياً
ألم تقل سأحتسى
الثانى : قد كنت أحكم الشبا
أعددت كلَّ عُدَّةٍ
[فى تهديد وضغط]
اليوم يلتقى حتفه الـ
الاول : ونفرة الجيش من السـ
الثانى : أصبت فياً قلته
يرضيك أن نوقع يـ
الاول :
الثانى : فلنتهزها فرصة
النصر للسين إذا الـ
الاول : إن نجحت فتنتنا
الثانى : فلنحكم التدبير إجماعاً
الاول : ياليت شعى ما ليد
الثانى : إن تهزم فى هذه الـ
الاول : وقد ترى « لوييس » محـ
- حماً غير « بيبرس » بطل
ألم يزل « بيبرس » حياً
ألم تقل سأحتسى
الثانى : قد كنت أحكم الشبا
أعددت كلَّ عُدَّةٍ
[فى تهديد وضغط]
اليوم يلتقى حتفه الـ
الاول : ونفرة الجيش من السـ
الثانى : أصبت فياً قلته
يرضيك أن نوقع يـ
الاول :
الثانى : فلنتهزها فرصة
النصر للسين إذا الـ
الاول : إن نجحت فتنتنا
الثانى : فلنحكم التدبير إجماعاً
الاول : ياليت شعى ما ليد
الثانى : إن تهزم فى هذه الـ
الاول : وقد ترى « لوييس » محـ

يَحْصِبُهُ الْجُمُورُ أَوْ يَذْبَحُهُ ذَبْحَ الْحَمَلِ

الثاني : يَا لَيْتَهُ لِمَا رَأَى طَيْفَ الْهَزِيمَةِ ارْتَحَلَ

الأول : إِنْ تَهَزَّمْ صَارَتْ « فَرَنْسَا » عِبْرَةً بَيْنَ الدُّوَلِ

وَأَصْبَحَتْ بَيْنَ شُعُوبِ الْغَرْبِ مَضْرِبَ الْمَثَلِ

حِينَ يَعُودُ جَيْشُنَا تَعْلُوهُ حِمْرَةُ الْخَجَلِ

الثاني : وَرَبَّمَا لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَنْ يَعُودُ

الأول : يُحْتَمَلُ

الثاني : ادْعُ الصَّلِيبَ

الأول : كَمْ طَلَبْنَا نَصْرَهُ فَمَا فَعَلَ

لَا تَذْكُرْ الصَّلِيبَ فَالْصَّالِبُ عَنَّا قَدْ غَفَلَ

[يَنْظُرُ الثَّانِي جِهَةَ الْبَابِ كَأَنَّهُ رَأَى أَقْطَايَ سَاثِرَا]

الثاني : هَاهُوَذَا أَقْطَايُ قُمْ فَتَادِهِ عَلَى عَجَلٍ

[يَنْهَبُ الْأَوَّلُ لِيُنَادِيَ أَقْطَايَ]

الثاني : [لِنَفْسِهِ]

مَنْ لِي بِكُلِّ أَفَاعَى الدَّسِّ وَالْفَتَنِ

تُلْقَى نَفَاثَاتِهَا فِي ذَلِكَ الْوَطَنِ

يَاسِينَ عَشْ آمِنَا رَيْبَ الزَّمَانِ وَيَا

نَيْلُ احْتِرَاقٍ بِلُظَى الْأَحْقَادِ وَالْإِحْنِ

[يسود أقطاي مع الجاسوس الأول]

الثاني : [لأقطاي]

أهلاً أميرَ جيوشِ النيلِ أجمعها

أقطاي : عمُ يا صديقي صباحاً . أنتَ تطلبُني ؟

الثاني : نعمُ معي لَكُمْ نصحُ أقدمهُ

فإنَّ فضلَكُمْ قد بات يَشمَلُني

فضلُ المَالِكِ مثلُ الطَّوقِ في عُنُقِ

أهلِ الشَّجَاعَةِ والإِحْسَانِ وَالْمَنِّ

لَكِنْ سَأَلْتُكَ بِاسْمِ اللَّهِ تَكْتُمُ مَا

أَقُولُهُ لَكَ لَيْسَ الْأَمْرُ بِالْعَانِ

بِالْأَمْسِ بَعْتُ نِسَاءَ الْقَصْرِ أَقْمَشَةً

رَاقَتْ لَدَيْهِنَّ مِنْ خَزِيٍّ وَمِنْ قَطْنٍ

أقطاي : [في لهفة]

قل لي فديتُك ماذا قد رأيتَ به ؟

الثاني : رأيتُ « توران » فيه وهو لم يرنى

أني بشمع كثير ثم أوقدته

من بعد ما صفتَه في منظرِ حَسَنِ (١)

(١) حادثة الشمع تاريخية مأثورة .

وأعمل السيفَ فيه قائلاً : وكذا

أُردى المالكُ في يوم من الزمنِ

صدقْتَ يا سيِّدَ الثُّجَارِ — إنَّ له

أقطاي :

قلبا حقوداً علينا جدُّ مضطَّعينِ

إلى أودى إليكم بعضَ دينكمو

الثاني :

شكراً . سأنظر في هذا ولستُ أني

أقطاي :

[أقطاي بنصرف]

الثاني : [لزميله]

قم يا أخى اسرَّحْ على فيضِ الكريمِ معي

تعالَ يرزُقْكَ الباري ويرزُقني

الأول :

[يخرج الجاسوسان ، وتدخل « تاج الملك » في حالة عصبية]

تاج الملك : [نائرة]

ويلاه طال الشُّهُدُ واقطع الكرى

ماذا عسى في الغيبِ لي قد أُضْمِرُ ؟

نفتِ الرؤى نومي وشاكت مضجعي

إنِّي أريدُ لما رأيتُ معبراً

حَجَبَ الأسي بُغْيُومه فلقَ الضحى

عن مُقلتي فتكادُ ألا تبصرَا

ما للهواجس ما لها تَنَتَابُنِي ؟
ما هذه الأطيافُ ما هي يا تُرَى ؟
رُوحِي فدا « بِيبرس » ماذا مَسَّهُ ؟
« بِيبرس » أَقبلْ عُدْ إلى مظفَّرَا

[هنا تدخل شجرة الدر حزينة]

شجرة الدر : مَنْ أَنْتِ ؟ « تاجُ الْمَلِكِ » طيبي واسلمى
تاج الملك : وعمى صباحًا يا مليكةُ وانعمي
شجرة الدر : [وهي مطرقة]

لا لم أعدُ بعدُ المليكةَ قد أتى
« تورانُ »

تاج الملك : ماذا تقصدين ؟ تكلمي
شجرة الدر : [غاضبة]

والله ما أدرى عِسلامَ يشورُ ؟
ويفورُ مثلَ القِدرِ حينَ تفورُ ؟
بأبعتهُ في حصن « كَيْفَى » غائبًا
بمخلاقَةٍ ما نالها المنصورُ
وحفظت عَرشَ أبيه مِنْ أطماع من
طمعوا فآلَ إليه وهُوَ صغيرُ

وكنمتُ أمرَ ممانِهِ حرصاً على
حسبِ رِحاها في البلادِ تدورُ

تاج الملك : [مبتسمة]

ولربما زُورَتِ توقيعَ اسمِهِ
يوماً وأحكمَ ذلكَ التزويرُ

شجرة الدر :

وحملتُ عبءَ الملكِ وحدي فادحاً
رَضَوِي تَنَوُّهُ بِحَمَلِهِ وَثِيرُ
هذا السِرِّ لو أَنَّنِي خَلَفْتُهُ

لَتَخَطَّفْتُهُ بِوَأَشِقُّ وَنَسُورُ

ماذا حساني كنتُ أصنع ؟ لم يكن
يرقاهُ لولا ذلكَ التدبِيرُ
فإذا جَزَأُنِي غِلْظَةٌ وَفِظَاظَةٌ

وإذا ثَوَابِي جَفَوَةٌ وَثَقُورُ

تاج الملك :

« توران » في نَزَقِ الشَّبابِ وَطِيشِهِ

فلتصبري . إن الكريمَ صبورُ

شجرة الدر :

إني لأخشي غِبًّا هذا الطيشَ في

وقتٍ يُخَطُّ لمصرَ فيه مصيرُ

تاج الملك : بل للعروبة يا شجيرة كلها
ويل لها إن أخطأ التقدير

شجرة الدر : إن ينتصر جيش العدو على الحمى
فالعرب قومٌ بعد ذلك بُورُ

تاج الملك : لا تجزعى فالتصر مكتوب لنا
« توران شاه » مؤيد منصور

شجرة الدر : لا تذكرى « توران شاه » فما لنا
أمل لعمر الله فيه كبير

لكن لنا في الشعب آمال وفي
« بيارس » أخرى

تاج الملك : [تحاول إخفاء عواطفها]
قائد مشهور

شجرة الدر : [في حماس]
أَوَ مَا أَصَبْتُ الْحَقَّ إِذْ وَلَّيْتُهُ
أَمْرَ الْقِيَادَةِ

تاج الملك : إنه لجدير

شجرة الدر : إني لمعجبة به

تاج الملك : لِمَ؟

شجرة الدر :

إنه

ليثٌ إذا خاض الحروب هَـصُورٌ
وله شبابٌ رقيقٌ ولوجهـه
سمتٌ كما شاء الجمالُ نصيرٌ

تاج الملك : [في غيظ] رُبَّمَا

كأنَّكَ لا تَرَيْنَ كما أرى
لِمَ لَا ؟

شجرة الدر :

تاج الملك :

كلامُكَ موجزٌ مبتورٌ

شجرة الدر :

شجرة الدر : [في همس]

يا الله هل سرِّي لديك مُضَيِّعٌ ؟

ما السرُّ ؟

تاج الملك :

سرٌّ لا يُذاع خطيرٌ

شجرة الدر :

أَفِضِي بِهِ

تاج الملك :

هل تَكْتُمِينَ السرَّ ؟

شجرة الدر :

لا

تاج الملك :

تَخَشَى فسرُّكَ في الحشا مستورٌ

شجرة الدر : [متحمسة]

إني لأشعرُ بالصباية نَحْوَهُ

تاج الملك : [مشدوحة]

هل عنده أيضاً بذلك شعور ؟

هو ليس يدرى . أَخْبِرِيهِ أَنْتِ

شجرة الدر :

قَلْ .

تاج الملك :

أنا في بلاطِ العاشقين سفير ؟

رحمك « تاج الملك » مالك هكذا

شجرة الدر :

تَقْسِينَ ؟ قلبي إن صَبَا معذور

ضَعْفُ الأنوثة وهو دالٌّ مَزْمَنٌ

يقضى علىَّ بما إليه أشير

إنَّ الأرامل بعد فقدٍ يعولها

مثلُ الطيور جناحهنَّ كسير

ولكل أرملةٍ لسانٌ يفترى

ولو أنَّها مثل البتول طهور

فاذا احتَمَّتْ يحميَ عَشِيرَ زَانِهَا

في الخلدِ عرضٌ سالمٌ موفور

إنَّ التَّاهِلَ عِصْمَةٌ وَحِصَانَةٌ

ماذا تَرَيْنَ ؟

تاج الملك :

تَصَرَّفْ مُشْكُورُ

لكن « نجم الدين » لم يَدْمَلْ له

جُرْحٌ وما مرت عليه شهورُ

شجرة الدر :

أنا ما فعلتُ وإنما هي فكرةٌ

أَيُّضِرُنِي التفكيرُ ؟

تاج الملك :

ليس يَضِيرُ

لكن ألم تجدى سوى « يبرس » ؟

شجرة الدر :

لم

أر غيرةُ

تاج الملك :

إن الرجالُ كثيرُ

شجرة الدر :

لكن حكم الحبِّ حكمٌ نافذُ

جيش القلوب أمامه مقهورُ

[هنا يدخل الحاجب مرجان]

مرجان : [لشجرة الدر]

مولاةِ ابنِ سيدي السلطانا

يدعوكِ

شجرة الدر : [وهي متعركة] ماذا يبتغي ؟ لا كانا

من معهُ ؟

مرجان : « يبرس » كان حاضراً
شجرة الدر وتاج الملك معا :

« يبرس ؟ »

مرجان : منه يستقى الأوامر
[تنصرف شجرة الدر]

تاج الملك : [لمجان]
مَرَجَانُ

مرجان : سَمْعاً

ناد لي « يبرسا »

تاج الملك : إذا انتهى من شُغْلِهِ . لا تَنَسَا
تاج الملك : [وهي منفردة]

ويحي أُنْعِمِدَ في قَوَادِي خَنْجَرُ

فإذا دُمَائِي من قَوَادِي تَقَطَّرُ ؟

« يبرس » تَعَشَّقُهُ الْمَلِيكَةُ ؟ يَا لَهُ

خَبِيراً يَكَادُ لَهُ الْحِشَا يَتَفَطَّرُ

يَا لَيْتَ شَعْرِي أَهْوَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَى ؟

أَبْمَثَلِ ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ يُفَسِّرُ ؟

أبذاك تُخَتِّمُ الخطوبُ وتنتهى
أم فى ضميرِ الغيبِ شىءٌ آخرُ ؟
يا ربَّ لطفاً فى قضائك إنه
حتم على كل العباد مقدرُ
[هنا يحضر بيرس]

تاج الملك : [فى لهفة] « بيرس »

مولاتى الأميرة

بيرس :

مرحباً

تاج الملك :

هل نَمَّ من خبر به أستبشرُ ؟

بشرى انتصاراتٍ يُخلدُ ذكرُها

بيرس :

فى كل قلبٍ بالنُّصارِ تُسطرُ

إنَّا زحفنا اليومَ زحفاً شاملاً

جيشُ البلادِ على يدِكَ مُظفرُ

تاج الملك :

لا يل بفضلِ الشعبِ فضلُ رجاله

بيرس :

ونسائه جيشُ الكنانةِ يُنصرُ

إنَّا حَصَرْنَا الخضمَ بينَ مياها

ولسوفَ يَفْنَى نصفه أو أكثرُ

أَمَّا «لَوَيْسُ» عَلَيْهِ لَعْنَةُ رَبِّهِ
فَالْيَوْمَ يُبْتَرُ رَأْسُهُ أَوْ يُؤَسَّرُ
تاج الملك : الله ما أحلى حديثك . إنه
قول كازهار الرياض معطر

تاج الملك : [ومي قبله وتبكي]

دعني أقبل هذه الشفة التي
ينساب في أذني منها الجوهر
بيبرس : بالله ما يبكي عيونك ؟ إني
يفرى ضلوعي دمعك المتحدّر

تاج الملك : [في دلال]

أجمعت يا «بيبرس» مهري ؟
بيبرس : كيف لا ؟
عَدَدُ الجماجم في سجلّي مُحْصَرُ
لم يبق إلا هامتان
تاج الملك . فقط ؟

أجل
بيبرس :
والينوم هامات بسيفي تبتر

لله دُرُكٌ من عروسٍ وخذها
دونَ الكواعبِ بالجمجمِ تمهراً

تاج الملك : (وهي تبكى)

ما بال دمع العين يقهرني !

أفي

بيبرس :

يوم اكتمال النصر دمعك يقهر ؟

هل أنت وافي لي بعهدك ؟

تاج الملك :

كيف لا ؟

بيبرس :

عجباً أمثلي إذ يعاهد يفدر ؟

إني لأخشى الدهر أخشى غدره

تاج الملك :

الدهر من سيفي وكفى يحذر

بيبرس :

إن القلوب يصيبن قلب

تاج الملك :

فلعل قلبك في غد يتغير

ولعل بعض الغانيات بدلها

أو جاهها بك يا حبيب تغرر

أقسمت لو أنت الجنان بحورها

بيبرس :

ومشت أمامي يا حبيبة تخطر

تختال في إستبرقٍ أو سُندسٍ
هذا سماويٌّ وذلك أخضرُ

ما كان في قلبي لغيرك موضعٌ
أو طابَ في عيني لغيرك منظرُ
« بيبرسُ » أنتَ إذا نطقتَ مصدّقُ

تاج الملك :

وإذا حملتَ على الكتيفة حيدرُ
لكنني أخشى عليك من الوغى
قلبي بذلك يا حبيبي يشعُرُ
بالله لا تذهبَ إليها اليومَ لا
تذهبُ

بيبرس : أمثلي من لظاها ينفِرُ ؟

أأكونُ موقدها ونافخها ولا
أصلي بها مشوبةً تنسَعِرُ ؟
إني رأيتُ رؤى ترزعُ القلبَ يا
« بيبرسُ »

بيبرس : [متحمساً] لا يخشى الحمامَ غضنفرُ

هل تمنعينَ البحرَ موجَ عُبابه ؟
هل تُسكتينَ الليثَ إذ هو يزأرُ ؟

مَنْ يَكْبَحُ الإِعْصَارَ عِنْدَ هُبُوبِهِ ؟
 مَنْ يُطْفِئُ الْبَرْكَانَ إِذَا يَتَفَجَّرُ ؟
 خَلَى الْهَوَاجِسَ يَا حَبِيبَهُ وَالرُّؤَى
 وَلِيَبْدُ فِي لَبَدِ الْأَسْوَدِ الْجَوْدَرُ
 التَّبَرُّ فِي النَّيْرَانِ يَبْدُو صَدَقَهُ
 وَالْحَرُّ فِي وَقْتِ الشَّدَائِدِ يَظْهَرُ
 وَالنَّصْرُ بَاتَ عَلَى شَفَا فَاَسْتَبْشِرْ
 سَمْعًا لِمَا تَقْضِي بِهِ أَوْ تَأْمُرُ
 إِنِّي قَدْ اسْتَوْدَعْتُكَ اللَّهَ الَّذِي
 تُرْجَى الْوَدَائِعُ عِنْدَهُ يَا قَسْوَرُ
 تعااقه ثم تنصرف وهنا يدخل أقطاي وأبيك وثلة من المماليك في حالة هياج
 أقطاي : « بيبرس » أنت ها هنا
 وعنك طال بمحنتنا ؟
 بيبرس : خيرًا تريد يا بطل
 أقطاي : لا خير فالأمر جلل
 الأمر جاز طوَّره
 لقد عرفت سره

يجلس الجميع في شبه حلقة

بيبرس : إني أرى أعيناً من شدة الغضب

تكادُ ترمى بألحاظٍ من اللهب

أقطاي : نعم غضبنا وأرهفنا صوارمنا

فالأمرُ جدُّ وليس الأمرُ باللعب

أيبك : أما سمعتَ ؟

بيبرس : بماذا ؟

أيبك : أن عاهلنا

قد بات يُنذرنا بالويل والحرب

« توران » قد راح في سرٍّ وفي علنٍ

يرمي الممالك بالإفساد والشغب

أقطاي : « توران » يجلسُ في الظلماء منفرداً

ويوقدُ الشمعَ وسط الليل كالشهب

ويُعملُ السيفَ فيه جاهداً فإذا

ما حطَّ الشمعُ غنى وهو في طرب

كذا كذا بمالكي سأفعلُ في

يومٍ عصيبٍ عبوسٍ الوجهِ مقتربٍ

- أحد المماليك : إن نحن لم نبْتَدِرْهُ بالأذى كُثِرَتْ
 أنصاره وانقلبنا شرًّا مُنْقَلَبِ
 عِلٌّ الذي قال هذا يفترى كذباً
 يبيرس :
 أقطاي : بل غيرُ متَّهم بالإفك والكذبِ
 ضيفُ هنا من تِجَارِ البندقيَّة لا
 يرقى إلى قوله طيفُ من الرِّيبِ
 أحد المماليك : « تُورانُ » منذتولى الحكم يطلبُنا
 فإن سَكَمُ عليه جدُّ في الطَّلَبِ
 ثان : لولا المماليكُ ما أبصرتُ دولتهم
 يوماً على وتِدٍ قامت ولا طُنْبِ
 لولا المماليكُ لم تَكْثُرْ غنائمهم
 حتى يسيرُوا على أرض من الذهبِ
 ثالث : مصرُ التي حفظت للقدس حرمةً
 وثبَّتت رايةَ الإسلام والعربِ
 ما بالها اليوم قد هانت مكائنها ؟
 ما بالها أصبحتْ محكومةً بصبي ؟

أذاك وارثُ نجم الدين والهمي ؟
أذاك سبط صلاح الدين واعجبي ؟
رابع : بالأمس كان لنا السلطانُ أجمعُه
وكان من بأسنا السلطانُ في رَهَب
لكنَّ « توران » لما جاء أبعادنا
حتى غمدونا بلا جَاهٍ ولا نَشَبٍ
أقطاي : ما نصنعُ الآن ؟
أبيك : نرجو أن نلقنهُ
درساً يسطرُّ بالأقلام في الكتبِ
أيامُ عرش بني أيوبَ قد قرُبَتْ
لسوف تتركُهُ كالمنزل الحربِ
اليوم نفعلُ فيهم مثلاً فَعَلُوا
بالقاطميّينَ أهل المجد والحسبِ
يبرس : إن تفعلوها لعمرى ما نجا أحدٌ
من شرها وأصبتُم مصرَ بالعطبِ
وكيف تنسونَ أن الحربَ دائرةٌ
في أرض مصرَ وأن النصرَ عن كُشِبِ ؟

كلا وحرمة مصرٍ لن أشاركم

حتى نظَّرها من كل مغتصبٍ

أقطاي : إذنْ توجَّلتها حتى يَتِمَّ لنا

كسرُ العدو وتَحْظَى مصرُ بالغلبِ

أيك : توافقون على هذا ؟

الجمهرة : موافقةٌ

أقطاي : ومنْ يَقُلْ غير هذا القولِ لم يُصبِ

بيبرس : هيا إلى الحرب إن الشعبَ منفردٌ

أحد المالك : هيا نشاركه في النصر والسلبِ

[يخرج الجميع ويدخل وفد من الشعب برئاسة بهاء الدين زهير الشاعر]

الوفد : [يهتف]

يحيا السلطانُ يحيا تورانُ

النصر للأوطانُ النصر للسلطانُ

[السلطان توران شاه يدخل ومعه حاشيته]

السلطان : أهلاً جنودى الأوفياء سلاماً

الوفد : أبقيك ربى للحمى وأداما

الها، زهير : مولاي وفدٌ من الرعيَّة

قد جاء يهْدى لك التحية

وباسمهم قلتُ فيك شعراً
هل تأذن الحضرةُ السنيّةُ ؟

السلطان : ما أعذبَ الشعرَ من زُهَيْرٍ
أنشده قدّم لنا رويّةً

البهاء : في كلّ قلبٍ قد نزلتَ بمنزلٍ
أقبلَ وجُندُ الله حولك أقبلِ
إن كان « نجمُ الدين » غاب فإنّه

متمثّلٌ في وجهك المتهلّلِ
إني رأيتُ أباك فيك بعزّمةٍ
ومضائه فكأنه لم يرحلِ

مولاي ابن أباك طيّبَ ربّه
مشواه قد بدأ الجهاد فأكلِ
النصر يمشي في ركابك دائماً
والغيمُ حين تلوحُ شمُكُ ينبجلي

قد دنسَ الغازي بطلعته الحمى
وأقام كالداء العيَاءِ المُقضِلِ

طَهَّرَ نَسِيمَ النِّيلِ مِنْ أَنْفَاسِهِ
 وَاحْلُ عَلَيْهِ كَالْقَضَاءِ الْمُنْزَلِ
 قَلَمٌ أَظْفَرُهُ لِيَعْلَمَ أَنَا
 شَعْبٌ إِذَا سَمِعَ الْأَذَى لَمْ يَقْبَلِ
 الشَّعْبُ خَلْقَكَ إِنْ أَمَرْتَ رَجَالَه
 بِشَرَابِ أَكْوَابِ الْمَنِيَةِ يَفْعَلِ

« عِشُّ الْقِي فِي ذَلَةِ كَجَهَنَّمَ
 وَجَهَنَّمَ فِي الْعِزِّ أَطْيَبُ مَنْزِلٍ »

السلطان : لَقَدْ أَجَدْتَ الْقَوْلَ يَا يَهْيَاءُ
 الْوَيْلُ ثُمَّ الْوَيْلُ لِلْأَعْدَاءِ

[هُنَا يَدْخُلُ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ « لُوبِس » مَعَهُ كِتَابٌ (١)]

الحاجب : مَوْلَايَ جَاءَ رَسُولٌ

السلطان : اسْمَحْ لَهُ بِالْدُخُولِ

الرسول : تَحِيَّةٌ تُهْدَى إِلَى السُّلْطَانِ

من سيدى « ريدا » العظيم الشأن

معى كتابٌ

(١) قصة الكتاب وردت تاريخية ونصها وارد في بعض الكتب وهو لا يخرج عما
 أشرنا إليه .

السلطان :

فضة يا بهاء

واتل علينا ما به من هراء

بهاء : [يقراً] من «لويس» حامى حى الصلبيان

عاهل السين صاحب الصولجان

لأخيه سلطان مصر . سلام

من «فرنسا» يهدى إلى السلطان

طالت الحرب بيننا وعلام الط

عن والضرب إننا أخوان

أنت فى الشرق صاحب الأمر فيه

ولى الغرب ليس لى فيه شأن

إن مصرأ فى مجدها وفرنسا

فى علاها كلتها توءمان

إن طه رسول سلم وعيسى

دينه دين رحمة وحنان

يا بن أيوب جئت أعرض صلحاً

فيه أمن يحظى به الطرفان

أترك القدس لي « ودمياط » أجلو

لك عنها تورا بغير توان

فإذا ما قبلت صلحي فاقبل

محض شكرى واقبل عظيم امتنانى

السلطان . أتممت هذا الخطاب

زهير : نعم

السلطان : وإليك الجواب

السلطان : [وزهير يكتب]

يا أخا السنين ما كتبت أتانى

وإليك الجواب من « توران »

الجللاء الجلاء ممن غير شرط

فإذا لم تقبل فانت الجانى

[الرسول يتسلم الكتاب وينصرف]

أحد الحاضرين :

أيها السلطان قد أحسنت قولاً

ثان : إن خير القول ما قل ودلاً

ثالث : لا نبتغى منه صلحاً

رابع : بل سوف يُذبح ذبحاً

السلطان : انصرفوا يا قومُ مشكورين
وأبشروا بالنصر بعد حين
ينصرف الوفد ويبقى مع السلطان حاشيته . يدخل الجاسوسان
الحاجب : بالباب يا مولاي تاجران
يلتصمان الإذن
السلطان : يدخلان
الجاسوسان : تحية الرحمن للسلطان
السلطان : تحية يا أيها الضيفان
الأول : ملك الكنانة فخر الزمان
ورب الأريكة والصولجان
نزلنا بمصر ضيوفاً فعشنا
بها فترة في نعيم الجنان
السلطان : على الرُحْب مصر مهادُ الضيوف
فمن أئمة ؟ وما تطلبان ؟
الثاني : تباركت مولاي نحن من البنـ
دقية نحن بها تاجران
وجئناك نفضي إليك بسر
فمر سيدى بنخلو المكان

السلطان : [لحاشيته]

رجالاً ، لا يبقَ باقٍ هنا

السلطان : [الجاسوسين]

نعم أفضيا بما تبغيان

الأول : أمـولائكم لأبيك أيار

علينا تقابلها بامتنان

الثاني : ونحفظها لابنه في الصدور

الأول : لذلك جئنا

السلطان : ألا تفصحان ؟

الثاني : [في شدة]

حياتك مـولائ

السلطان : [في اضطراب]

ما لحياتي ؟

مـهددة

الأول : [في قوة]

ما لها من أمان

الثاني : . .

الأول : [هاما]

هنا بقصور الممالك كئنا

نبيع الحرير لبعض الغواني

ومن بعضهن سمعنا حديثاً .
تُصَكُّ بِالْفَاظِ الْأُذُنَانِ

السلطان : وما هو هذا الحديث ؟ أيننا
ولا تكتماً أيها الناصحان

الثاني : [في قوة]

مؤامرةٌ حول قتل الملك
بضرب الحسام وطعن السنان
السلطان : نعم إنَّ عندي شعوراً دفيناً
بهذا نعم أتما صادقاً

فشكراً جزيلاً سأخذُ حذري
وأكتمُ أمري فهل تكتمان ؟

الجاسوسان : نعم سيدي
السلطان : [وهو يعطيها] هذه منحة

أقدمها لكم
الجاسوسان : شاكران

الجاسوسان ينصرفان ، السلطان يتجول في المسرح هائج الأعصاب ، يوقد الشموع
إن لم تكن موقدة

السلطان : [وهو يضرب الشمع بالسيف]

كذا سَأَصْنَعُ نَوْمًا بِالمَالِكِ
أَقْسَمْتُ مَا أَحَدٌ مِنْهُمْ يَمْتَرِكُ
يا مِصْرُ كَمْ قِيكَ مِنْ عَبْدٍ وَمِنْ أُمَةٍ
بِالمَالِ يَبِيعُ فَاْمَسَى حَاكِمًا قِيكَ
لَا كُنْتُ إِنْ لَمْ تُطَهَّرْ شَاطِئُكَ يَدِي
قَبْلَ الْفَرَنْسِيْسِ مِنْ جِيْشِ الصِّعَالِيكِ
بَقِيْتُ يَا مِصْرُ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَا
« تَوْرَانُ » بِالنَّفْسِ قَبْلَ المَالِ يَفْدِيكَ

السلطان : [يصفق فيأتي الحاجب]

الحاجب : لِيِيكَ مَوْلَايَ

السلطان : نَادِ الصَّحْبَ نَادِهِم

السلطان : [بعد حضورهم] وَأَيْنَ أُمُّ خَلِيلٍ ؟

الحاجب : دَاخِلَ الحَرَمِ

السلطان : قُمْ نَادِيهَا هِيَ أَيْضًا

السلطان : [بعد ذهاب الحاجب]

إِنَّ لِي مَعَهَا
قَدْرًا مِّنَ الْمَالِ عَيْنِي عَنْهُ لَمْ تَنِمْ^(١)

السلطان : [الحاضرين]

ما رأيكم في سداد الدين
بعض الحاضرين : توجبُّهُ

شريعة الله والأخلاق والشم.
السلطان : فهل أعقُّ مديني إذ أطلبُهُ ؟

بعض الحاضرين :

مَنْ يَطْلُبُ الْحَقَّ لَمْ يُعْذَلْ وَلَمْ يُلْمَ

[هنا تمطر شجرة الدر ومعها تاج الملك ولا بأس ببعض النسوة]

شجرة الدر : لبيك مولاي

السلطان : مرحى . أنتِ زوج أبي

بل أنتِ أُمِّي فِي الْقُرْبَى وَفِي الرَّحِمِ

لَكِنْ أَبِي يَوْمَ وَاقْتِهِ مَنِيَّةٌ

مَا كُنْتُ حِلًّا بِأَرْضِ النِّيلِ وَالْهَرَمِ ؟

(١) قصة مطالبة « توران شاه » لشجرة الدر بمال أبيه قصة تاريخية ، وقد كانت من

أسباب الفتك به .

فأين ما كان يا أماء عند أبي
من كلِّ غالٍ جليلٍ القدر ملتزم ؟
كانت لديه قناطيرٌ مقنطرةٌ
ليست تُعدُّ بقرطاسٍ ولا قلمٍ
كانت لديه من الأحجار طائفةٌ
شبيَّ كرائمٍ أقصى غاية الكرمِ
إنَّ الخزائن مما قلتُ خاليةٌ
تشكو من العدم يا أماء والعدمِ

شجرة الدر : [نأثرة باكية]

ويحي وويحك ماذا طنَّ في أذني ؟
ماذا توجهُّ من قارص الكلام ؟
بمثل هذا انلنا والفحشِ تقذفني
« توران » حسبك قد أسرفت في التهمِ
ما كنت أعلم أن الأمر يبلغ بي
من آل أيوب حدَّ الطعن في الذمِ
أذاك أجرُ الذي أسلفت من مَن ؟
أذاك أجرُ الذي قدَّمت من نعم ؟

نهضتُ بالسيبِ إذ عى الرجالُ بهِ
 أحمى الدمار وأرعى حرمة الأجمِ
 وقمتُ بالأمر في مصرٍ أصرفه
 والحربُ قائمةٌ فيها على قدمِ
 وصنتُ عرشك من عادٍ ومفترسٍ
 وقلتُ دونك يا « توران » فاستلمِ
 حتى إذا ما وليتَ الملكَ تؤلني
 كأن قلبي لم يكتظَّ بالألمِ
 بالله دغ عنك هذا القول تنفثه
 سماً فأهون منه أن تريق دمي

السلطان : [في قوة]

أريدُ مال أبي لا تبغني غضبي
 لا تخدعيني بدمع منك منسجمِ

شجرة الدر : [في تحد]

لا مال عندي فافعل ما بدا لك بي

السلطان : [مهذا]

ستشعرين غداً يا أم بالندمِ

[تجلس شجرة الدر بأكية بجوار تاج الملك] تدخل ثلة من الجنود المماليك والأسى
والجرن بإديان على وجوههم

أحد الجنود : [وهو يكي]

مولاى بالتصريف الأقدار
طاح القضاء بليث « بندقدار »^(١)

« بيرس » خرّ مجندلاً

شجرة الدر وتاج الملك معاً : « بيرس »

الجندى : قد

سقط الفتى المغوار فى المضمار

[ينهى على كل من شجرة الدر وتاج الملك ويسقطان على الأرض]

السلطان : [مشيراً إلى المراتين]

صبوا على هاتين ماءً بارداً

[هنا يحملهما الجنود خارج المسرح]

السلطان : [للجندى] أسرّد على بقية الأخبار

الجندى : كنّا نغير على العدو إغارة

شعواء، تُصلية عذاب النار

(١) « بندقدار » هى التى ينسب إليها الملك الظاهر « بيرس » البندقدارى .

بين البحيرة — لا عدنا ما بها —

والتيبل حاصرناه أي حصار
والقوم بين مجندل أو واقع
في أسرنا أو لا تذر بفرار
الجيش بالبثار يقرى هامتهم
والشعب بالبثار والأحجار
هاماتهم عدد الحصى فوق الثرى
ودماؤهم تنصب كالأمطار

« بيرس » كيف قضى ؟

: السلطان

أتاه هامس

: الجندي

في أذنه نجاه في إسرار
فإذا به ترك المجال فجاءة
متوغلاً في جبهة الكفار
ولقد بحثنا بعدها عنه فلم
نعثر له أبداً على آثار
وإذا بنا من صفوف عدائنا
ينعى حياة الفارس الكرّار

السلطان : والجيش ؟

الجندي : كان لنبي قائده على

عزماته فعل الحيا بالنار

السلطان : والشعب ؟

الجندي : زاد حية فكأنما

هذا المصاب أصابه بسعار

السلطان : [في حماس]

تباً لجيشي في الحروب ومرحباً

يا شعب مصر زعيمة الأمصار

المارد الجبار شعبي وحده

مرحى بهذا المارد الجبار

[هنا يسمع صياح وجلبة وهتاف يثق عنان السماء خارج المسرح . أفواج من الشعب قادمة على القصر ، ومعها « لويس » ، السابع أسيراً « الشيخ عز » ، على رأس الوفود .

الشعب يهتف :

الله أكبر الله أكبر

النصر للسلطان المجد للأوطان

النصر لمصر وللمصر النصر

الله أكبر الله أكبر

[الشيخ عز يدخل ومعه وفود الشعب بقدر ما يتسع المسرح ، ثم يتقدم من السلطان ،
« ولويس » متلول اليد والعنق مع بعض الأفراد]

الشيخ عز : [في قوة وحاس]

مولاي نجا برأس الكفر يهديه
إليك شعب تعالى الله بآزیه
هذا « لويس » ذليلاً خاضعاً ضرعاً
يود لو أن بطن الأرض يُخفيه
القيد في يده العسراء أسورة
والطوق في جيده عقد يُحليه
قد جاء يحسب أن النيل مغنمة
لم يدر أن عرين الأسد واديه
إننا قبضنا عليه بعد ما نفقت
جيوشه بعد ما قصت خوافيه
ضاقت به الأرض في مصر بما رحبت
وظن منية « عبد الله » تنجيه^(١)
فانقض فيها عليه الشعب مفترساً
كأنه الجؤ إذ ينقض بأزیه

(١) هي بلدة معروفة بجوار المنصورة وبها قبض على « لويس » التاسع .

لم يَبْقَ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْ عَسَاكِرِهِ

غَدَاً عَنْ الْوَطَنِ الْمَحْبُوبِ يُجْلِيهِ

اللَّهُ أَكْبَرُ يَوْمُ النِّصْرِ مَبْتَسِمٌ

بَدَا لَنَا فَجْرُهُ وَابْجَابَ دَاجِيهِ

وَالنِّصْرُ مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْعَرْشِ يَمْنَعُهُ

مَنْ يَنْصُرُ الْحَقَّ فِي الدُّنْيَا وَيُعْلِيهِ

فَلْيَرْفَعْ الْعَرَبُ فَوْقَ النِّجْمِ رَايَتَهُمْ

وَلْيَعْلَمْ الشَّرْقُ أَنَّ النِّيلَ يَحْمِيهِ

[الوفود تصفق وتهتف داخل المسرح وخارجه]

السلطان . [في حماس بالغ يقبل الشيخ عز ويمصافحه]

أَيُّهَا الشَّيْخُ هَاتِ كَفَّكَ هَاتِ

وَإِلَيْكَ الْمُنَاتِ مِنْ قُبُلَاتِي

أَيُّهَا الشَّعْبُ أَنْتَ كَالسِّيفِ يَبْدُو

نَفْعُهُ فِي الْمَوَاقِفِ الْحَرَجَاتِ

أَنْتَ مِثْلُ الْحَسَامِ يَزْدَادُ صَقْلًا

كُلُّهَا قَلْبُوهُ فِي الْجَمَرَاتِ

[يجلس السلطان ويجلس الشيخ عز والهاشمية]

السلطان : أَيُّهَا الشَّيْخُ أَيْنَ أَيْنَ الْأَسِيرُ ؟

لويس : [في قزع من الجماهير]

بك يا حامى الحمى أستجيرُ

أصوات : أقتلوه . ضحوا به . أعدموه

السلطان : لا ولكن بجانبى أجلسوه

[« لويس » يجلس أمام السلطان أو بجانبه]

السلطان : [للشعب]

إعدامه معناه أنا هنا نخشاه

وذاك وضع شائن لمصر لا أرضاه

فليأت ألف مرة فإننا نلقاه

[تصفيق وهتاف داخل المسرح وخارجه]

السلطان : [« لويس »]

ماذا جئت مصر حتى جئت تغزوها ؟

لويس : ما كنت أعلم أن الأسد أهلوها

السلطان : قومي يطالبون بالإعدام

لويس : والعفو من شمائل الكرام

السلطان : العفو عن مثلك كيف يُعقل

من بعد أن فعلت ما لا يفعل ؟

- لويس : إن أنتَ أطلقتَ سَراحى أَقلع
عن تَغْرِ « دِمِيَّاط » وعسكرى معى
السلطان : ماذا تقولُ ؟ أَحْسِنُ المَقَالَآ
قد قلتَ قولاً يَضْحَكُ الشَّكَّالَى
عسكرُ « دِمِيَّاط » الذى تعنيه
عساكرى فى سَاعَةِ تَفْنِيهِ
لويس : هل أَشترى نفسى بالأموالِ ؟
السلطان : نَعَمْ ، وَلَسَكُنَّكَ عِنْدَى غَالِ
لويس : كم تَطْلُبُونَ ؟
السلطان : أَلْفُ أَلْفِ تَدْفَعُ (١)
ومن هنا إلى فرنسا تَرْجِعُ
وتُطَلِّقُ الأَسْرَى التى لَدَيْكَ
قيلتَ ما أَمْلِيَّتُهُ عَلَيْكَ ؟
لويس : نَعَمْ نَعَمْ قِيلتُ
السلطان : يا صَبِيحُ
صَبِيح : لَبَّيْكَ

(١) تختلف المصادر فى قيمة الفدية بين ٥٠٠ ألف دينار ، ٨٠٠ ألف ، وألف ألف .

السلطان : دَعِ ضَيْفَكَ يَسْتَرِجُ

[صليح يقبض على « لويس » والسلطان ينهض للقيام]

السلطان : [وهو منصرف]

ضَيْفَكَ عَلَى الْمَرْزَلَةِ

فَأَحْسَنَ الْعَامَلَةَ

صليح : [وهو يصفقه بعزل عن السلطان]

تَعَالَى يَا بَنَ الْأَرْمَلَةِ^(١)

هَذَا الْقَفَا مَا أَجْمَلُهُ

هيا إلى دارِ « ابن لقمان » معي

نَلَّهُ بِهَا هَنِيئَةً وَنَزَعُ

[ستار]

(١) تروى بعض المصادر التاريخية أن صليحاً كان يضرب « لويس » التاسع كل يوم عصاً . على أننا لم نعرض لهذا التشكيل إلا على سبيل الإشارة الحاطفة .

الفصل الرابع

[المشهد الأول]

المنظر : [دار ابن لقمان ، دار متواضعة عتيقة الأثاث ،
الأسارى نائمون ، « ولويس » فى مكان بارز
يهذى وهو نائم . صبيح نائم فى مكان
منفزل . يسمع أذات الفجر]

لويس : [يهذى وهو نائم بكلام متقطع]

ملكى بلادى عرشى أين موضعه
أهكذا ييدى طوعاً اضيعة ؟
أفى فرنسا أنا والسين يغررها ؟
ماأبعد السين عنى أين منبعه ؟
بل أنت فى السجن ضيف يا « لويس » ؟ نعم
« لويس » فى السجن والسجان يصفعه
« باريس » طيفك يبدولى فالثمة
وصوتك العذب فى أذنى أسمع

يا « مرغريت » تعالى خفنى شجنى
ما بال وجهك عنى غاب مطلقه ؟^(١)

قولى « لروما » واللبابا « لويس » هنا
القيد فى يده والسجن مرتفعه
مالى وللقدر أو مالى أذفع عن
دين المسيح وكل الناس تتبعه ؟
قد حل جيشى بوادى النيل يفتحه
فكان جيشى بوادى النيل مصرعه
« أعطيت ملكاً فلم أحسن سياسته »

كذلك من لا يسوس الملك يخلعه »

هنا يدخل الجاسوسان متلصحين يحاولان سرقة « لويس » ، السجين

الأول : من هنا فامش ورأى من هنا

أطبق النوم العميق الأعينا

هذه دار ابن لقمان

هوت

الثانى :

فوق أهلها سقوا وبنوا

(١) مرغريت هى زوجة « لويس » التاسع وكانت معه فى الحملة ، وهى التى تولت جمع

مال القداء .

- الأول : إخفضن الصوت ولا تجهرن به
وامش فوق الأرض مشياً هيناً
ألف ألف ؟ ياهول الخطب ما
أفزع الغرم وأغلى الثمنا
الثاني : لا لعمر الله لن ندفعها
الأول : علّنا نقلت منها علّنا
الثاني : أبداً لا أنثنى عن خطفه
لا ولو فارق رُوحى البدنا
أين مولاك
الأول : هنا مستغرق
في كراه لا يملّ الوسنا
نأتم بين فراش خلق
وغطاء يتحدّى الكفنا
الثاني : قم بينا نوقفه من نومه
ونحّث الخطو فالوقت دنا
إن خلف الباب مهراً سابقاً
« اللؤيس » وجوادين لنا

فَإِذَا شَارَفَتْ الْخَيْلُ بَنِي
شَطًّا « دَمِيَاط » رَكَبْنَا السُّفُنَا

الأول : إِنَّ فِي سَاقِيهِ قِيدًا مَحْكَمًا
الثاني : دَعَاهُ لِي سَوْفَ تَرَاهُ لَيْنًا

لَا تَخَفْ إِنَّ بَجْبِي مِزْبَدًا
يَقْطَعُ الصَّخْرَ وَيَفْرِي الْمَعْدِنَا

[هُنَا يَسْتَقِظُ صَبِيحٌ ، فَيَرْتَبِكُ اللِّسَانُ ، ثُمَّ يَقْبِضُ عَلَيْهِمَا]

صليح : [لِنَفْسِهِ] صَوْتُ لَعْمَرِي رَنَّ فِي آذَانِي
مَنْ هَا هُنَا ؟ مَنْذَا الَّذِي نَادَانِي

صليح : [وَهُوَ يَقْبِضُ عَلَيْهِمَا وَيُوسِعُهُمَا ضَرْبًا]

مَنْ أَتَمَّا يَا أَيُّهَا اللِّسَانُ ؟
مَاذَا بَقَلْتَ الدَّارَ تَسْرِقَانِ ؟
لَيْسَ هُنَا شَيْءٌ سِوَى الْقُضْبَانِ

وَالسُّورِ وَالسَّقُوفِ وَالْجُدْرَانِ

الأول : [وَهُوَ يَرْتَعِدُ] عَفُوا فَنَحْنُ

الثاني : [وَهُوَ يَرْتَعِدُ] نَحْنُ تَاجِرَانِ

صليح : مَاذَا تَبِيعَانِ وَتَشْرِيَانِ

مَنْ سَلَجٍ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ ؟
 أَتَلَكِ سَوَاقَ الْبَطِّ وَالْخَرْفَانِ ؟
 أَمْ سَوَاقُ بَيْعِ الْجُبْنِ وَالْأَلْبَانِ ؟
 أَمْ سَوَاقُ بَيْعِ التِّينِ وَالرَّمَّانِ ؟
 أَمْ تَلَكِ سَوَاقَ الْخَزِّ وَالْكَتَّانِ ؟
 أَمْ سَوَاقُ بَيْعِ الصَّوْفِ وَالْأَقْطَانِ
 بَلْ أَتَمَّا فِي مَصْرَ جَاسُوسَانِ
 قَدْ جِئْتُمَا فِي اللَّيْلِ تَخْطَفَانِ
 مَوْلَا كَمَا « رِيدَا » الْعَظِيمَ الشَّانِ
 كَأَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ الْأَوَانِ
 أَوْ مِنْ حُلِيِّ الْخَرْدِ الْغَوَانِ
 صَبْرًا قَلِيلًا سَوْفَ تُذْبَحَانِ
 وَمِثْلَ سَلَخِ الشَّاةِ تَسْلَخَانِ
 وَفِي لَهَيْبِ النَّارِ تُشْوِيَانِ
 مَوْلَايَ يَاذَا الْعَطْفِ وَالْإِحْسَانِ : الأول :
 مَوْلَاكَ ؟ يَا لِلزُّورِ وَالْبَهْتَانِ : صليح :
 مَا أَنَا بِالْمَوْلَى وَلَا السُّلْطَانِ
 لَكِنِّي مِنْ جُمْلَةِ الْخَصِيَانِ

مولا كما حامي حامي الصلبان
 الثاني : عفواً فنحن عندكم ضيفان
 صليح : يا مرحباً بأكرم الضيفان
 مائدتي كثيرة الألوان
 ما أكل امرؤ على خواني
 إلا شكا بالبطن والمصران
 [وهو يضربهما] طعمُ العصا فيه شفا الأبدان
 والسوطُ نعم الزادُ للجوعان
 والنعلُ هشةٌ على الأسنان
 ما اسمُ أبيك يا فتى الفتيان ؟

الأول : « ديجول »

صليح : كان لي من الخلان
 وكان من أكابر القُرصان
 قد مات وهو جالسٌ في الحان
 كم شربَ النبيذَ بالدنان
 لا وسعتهُ رحمةُ الرحمن
 ولا نجا ابنته من السجان

[لويس يستبقي وبعض الأسرى يميثون على الصوت مترنمين من عذاب الجن]

لويس : [في ذلة] ما ذلك الصياحُ يا صبيحُ

صبيح : [في تهكم] جاءك ضيفٌ وجهه مليحُ

وآخرُ لسانه فصيحُ

ضمَّهما وضَمَّكَ الضريحُ

صبيح : [في لهجة جادة]

أتعرفُ هذينِ يا سيِّدي ؟

لويس : [متلعججا] نعم . لا . لقد صرتُ لا أهدى

صبيح : « لويسُ » أجبني بقول صريح

صبيح : [بعد أن سكت لويس] لماذا سكَّتَ ولم ترُدِّ ؟

لويس : [في ذلة] ها من جنودي

صبيح : ونعم الخنودُ

أكانوا وكنتَ على موعدٍ ؟

لويس : متى قديماً ها هنا ؟

صبيح : شرقاً

يجنح الدُّجى الحالكِ الأسودِ

يسعى بهما الشوقُ ليلاً إليك

ومن هزَّه الشوقُ لم يرقِدِ

جنودك جاءوا لكي يسرقوك
كانك قرطاً من العسجد

صليح : [وهو يبرز المبرد]

وفي جيب هذا الشجاع الجريء
عزّت على ذلك المبرّد
لتهناً « فرنسا » بعهد جديد
من الجسد يسمو على الفرقد
أترضى التلصص يا بن المسيح
ويا حامى القدس والمعبد ؟
غدرتم وما أقبح الغدر عند
رجال الكنيسة والمسجد

صليح : [لأحدهما وهو يضربه]

تعال أودّبك يا بن اللثام
فما يحسن الضرب إلا يدي

صليح : [للثاني وهو يضربه]

وأنت سأعطيك خمسين سوطاً
بسوطي وإن شئت فلتزد

لويس : [في ذلة] أوصاك مولاك فينا بهذا ؟
يَمِينُكَ أَمْسَكَ وَلَا تَمُدُّ
صَبِيح : أنتَ أَهْلٌ لَضَرْبِ السَّيَاطِ
وليس عليك بِمُسْتَبَقِدِ
لقد أَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَكُمْ
بِمَصْرَ وَلَنْ يُفْلِحَ الْمُعْتَدِي
[هنا تشرق الشمس]

صَبِيح : [في تهكم] وَالْآنَ يَا ضِيوفَ الْكِرَامِ
جَعَلْتُمْ وَحَانَ مَوْعِدِ الطَّعَامِ
[ينصرف صبيح لإحضار طعام الفطور]

لويس : [للجاسوسين]
مَاذَا أَتَى بِكَمَا وَكَيْفَ اجْتَرَأْتُمَا
هَذَا الشِّبَاجَ الْمُحْكَمَ الْأَقْفَالِ ؟

الأول : جِئْنَا لِنَخْطِفَ سَيِّدِي مِنْ سَجْنِهِ
ضَمْنَا عَلَى مَوْلَاتِهِمْ بِالْمَالِ
لويس : مَوْلَاتِهِمْ ؟ مَنْ هَذِهِ ؟

الثاني : سُلْطَانُهُ
فِي قَبْضَتِهَا دَقَّةُ الْأَعْمَالِ

لويس : مَنْ تقصدان ؟

الأول : شجيرة الدرّ التي

وليت عليهم بعد موت الوالى

لويس : تُورانُ أين مضى ؟

الثانى : رماه جنوده

غدرًا فـات ممزق الأوصالِ

لويس : [لنفسه] ياللهوانِ إذن فأمرى الآن فى

يد ناهدٍ هيفاء ذاتِ دلالِ

سيقول عنى أهلُ أوربا غدًا

أثنى بمصرٍ أوقعتُ برجالى

لويس : [للجاسوسين]

مازال فى « دميّاط » باقى جيشنا

لم لا يخلصنا من الأغلالِ ؟

فلَيْسْتَغْلَنَ اضطرابَ الحال فى

مصرٍ فذلك وقتُ الاستغلالِ

الأول : هيهات يامولاي إن جنودنا

فى الشجر قد باتت بأسوأِ حالِ

الشعبُ يا مولاي يدفع وحدهُ

عن مصرَ بالحكام ليس يبالي
لو جاء مصرًا كلَّ يوم حاكمٌ

ما كان للآمال أيُّ مجالٍ
إن الثيابَ الزُّرقَ كانت وحدها

في مصرَ مصدرَ خيبةِ الآمالِ

[هنا يظهر صبيح ومعه طعام متواضع ، ولا بأس أن يكون معه بعض الحرس المساعدين]

لويس : [في رعب]

أمسك لسانك

أحد الأسرى : ضمة

ثان : صبيح قد أتى

ثالث : تبأ له من ماردٍ محتالٍ

رابع : كم سامني سوء العذاب بسوطه

وأذلني وألحَّ في إذلالِي

صبيح : [وهو يقدم الزاد وهم يأكلون في ذلة]

زادٌ شهيٌّ طيبٌ كلوا هنيئًا واشربوا

وذاك ماءٌ مثلُ ماءِ «السَّين» لا بل أعذبُ

إني لكلِّ نازلٍ أهلٌ ودارني مرحبٌ

لا تغضبوا إن سئلتكم بقسوة لا تغضبوا
 إني لكم مقومٌ سوطي لكم مؤدبٌ
 والسجنُ الأشرارُ نه مَ المصلحُ المهذبُ
 ما هو إلا معهدٌ فيه العلوم تطلبُ
 فيه على الأخلاق كلُّ ناشِرٍ يُدرَّبُ
 يفقد فيه الأفوا نُ نَمُّه والعقربُ
 هنا الظلوم يرعوى هنا يتوب المذنبُ
 مَنْ عذب الناسَ ففى سجنى هنا يعذبُ
 كلوا هنيئًا يا ضيو فى ودعوى أخطبُ
 طعام مصرَ طيبٌ وجيشها لا يغلبُ
 بالله هل صدقت فيه ما قلته ؟ لا تكذبوا

[هنا يسم طرق على الباب]

صليح : [وهو يفتح الباب]

مَنْ يدقُّ البابَ من يا هل تُرى ؟

صليح . [ومرغريت داخلة]

يا صباحَ الفلِّ سجنى نورًا

مرغريت : أهنا « ريدًا » حبيبي؟

صليح : ها هنا

[لنفسه] جلّ من صوّر هذا القمر

مرغريت : [وهي تعانق لويس وكلاهما يبكي]

قريني « لُويس » ونعمّ القرين

أفي السجن أنت ؟ أنت سجين ؟

لويس تعالى أقبلك يا « مرغريت »

تعالى أقبلك فوق الجبين

مرغريت : أهذا مصيرُ ملوكِ « فرنسا »

وتاج « فرنسا » الأغرّ الثمين ؟

أسلت دموعي فريت ضلوعي

أذابَ فؤادي فرطُ الحنين

أبعدَ السريرِ ولبسَ الحريرِ

نقيمُ بهذا المكانِ المهين ؟

لويس دموعكِ يفعلان يا « مرغريت »

بقلبي قتلَ المدى بالوتين

بُربك لا تَطْطري مهجتي

بسيفِ البكاءِ ونصلِ الأنين

مرغريت : بناتك يسكن ليلَ نهارَ
 وطفلك دامي الفؤادِ حزينُ

لويس : ألا في سبيل الصليبِ شقائي
 وذلُّ البناتِ وهمُ البنينُ
 لقد جئتُ أضفي على القدس ظليَّ
 وأحمي الصليبَ من المسلمينُ
 فلطختُ بالعار وجهَ « فرنسا »
 ووجهَ الكنيسةِ طولَ السنينُ
 دخلتُ ديارَ الفراعينِ أمسِ
 دخولَ القيامةِ الفاتحينُ
 وما كنتُ أعلمُ أنْ بمصرَ
 بُزاةَ الهوامِ وأسدَ العرينِ
 وما أنتَ والقدسُ تحمي حماهُ ؟
 وما القدسُ والحربُ في كل حين ؟
 لقد قوَّضَ القدسُ صرخَ السَّلامِ
 وشنَّ الحروبَ على الأمنين ؟
 أباسم الدياناتِ تجري الدِّما
 والحربُ يُمقِّها كلُّ دين ؟

لويس :

فديتكَ قد فاتَ وقتُ العتابِ

فكم تَعْتَبِينَ وكم تَعْذِلِينَ

دعيني من اللوم يا « مرغريت »

فبينَ ضلوعي داءٌ دفينٌ

لئن كنتُ أخطأتُ نهجَ الصوابِ

فإني كالنَّاسِ مالا وطينٌ

تسيرُ الرياحُ سَمُومًا ورَهْوًَا

وتجري بما لا يَوَدُّ السفينُ

بربِّكَ « يا مرغيتُ » أعيني

« لويس » فإنَّ الكريمَ معينٌ

أعيني « لويس » بمالِ الفداءِ

فإني به في السجوتِ رهينٌ

ألا أبلغى الشعبَ ما أنا فيه

وكوني إليه رسولى الأمينُ

إذا كان سلطانُ مصرَ كريماً

فشعبى ليس بشعبٍ ضنينُ

حلقتُ بمالكَ فى مُهجتي

مرغريت :

من الحبِّ أعظمُ به من يمينُ

لسوف أسوقُ إليكَ القداءَ
ولو بقْتُ فيه سوادَ العيونِ
لويس : [وهو يعاقبها] دعيني أقبلُ تلكَ العيونَ
فإني لها بالحياةِ مدينُ
[ستار]

[المشهد الثاني]

[من الفصل الرابع]

المنظر : [منظر الفصل الثالث نفسه . بهو بقصر السلطان
في المنصورة . في الصدر عرش الملكة .
الوقت صباح .]

[يفتح الستار على تاج الملك وهي تندب حظها وتبكي حبيبها يبرس]

تاج الملك : [في لوعة وهي لابسة درعها ومعهما سيفها]

« مالي وللنجم يرعاني وأرعاهُ
أمسى كلانا يعافُ الغمضَ جفناه ؟ » (١)
« لي فيك يا ليلُ آهاتُ ارددُها
أواهُ لو أجدتُ المحزونَ أواهُ

(١) قد يكون من نجاح الرواية أن تغني هذه القصيدة على المسرح بنغمة حزينة .

لو يعلم الطير شجوى ما شدا طرباً
 ولا أقام على غصن فغناه
 لو يعلم الروض شجوى جف زاهره
 ولم تفتح كفتات المسك رياه
 لو يعلم النجم شجوى غاب شارقه
 لو يعلم النيل شجوى كف مجراه
 إني نعت أخى من سبعة سلفت
 واليوم هذا حبيبت أنعاه
 وما علمت له مثوى فأرويه
 بالدمع ليت سواد العين مثواه
 في ذمة الله يا « بيبس » ليت شرى
 أردته كفاى بل أردته كفاه
 ليت العرينة من في الغاب جندله ؟
 ليت الكريهة من في الحرب أرداه ؟
 وكم بذلت له نصحي فخالقني
 وكيف يُفلت مما قدر الله ؟

تاج الملك : [تشير لهجتها الى لهجة تهديد فيها قوة]

أَقْسَمْتُ مَا أَخَذْتُ تَأْرَى يَدَ كَيْدِي
 فَلْيَرْفَعْ الرُّمُّ بِالصَّصَامِ يُمْنَاهُ
 الْيَوْمَ أَلْبَسُ دِرْعِي لِلْقِتَالِ وَمَا
 ضَرَّ الْحَمَى أَنْ تَخَوْضَ الْحَرْبُ أَثَاهُ
 فَإِنْ ظَفَرْتُ شَفَانِي تَأْرَهُ وَإِذَا
 قَضَيْتُ نَحْبِي فِي الْفَرْدَوْسِ أَلْقَاهُ

تخرج تاج الملك وتدخل الوصيفتان أنعام وأنسام

أنعام :	مُلْكٌ يَدِيرُهُ الْإِلَٰهَ	وَتُدِيرُ دَفَّتَهُ يَدَاهُ
أنسام :	إِنَّا جِهَانَا مَبْتَدَا	هَ فَكَيْفَ نَعْرِفُ مُنْتَهَاهُ
أنعام :	أَهْ عَلَى مَا تَابَ « تَا	ج الْمَلِكِ » يَا أَخْتَاهُ آهَ
أنسام :	مَنْ يَفْقَدُ الْأَحْيَاءَ بِهِ	دَ الْأَهْلُ تَدْمَى مَقْلَتَاهُ
أنعام :	لَا كَانَ يَوْمٌ فِيهِ قَدْ	هَتَفَتْ « يَبْرَسَ » النِّعَاةُ
	لَا جِسْمَهَا لِبَسَ الْحَدَا	دَ عَلَى الْحَبِيبِ وَلَا ارْتَدَاهُ
	لَكِنَّهَا لَبَسَتْ عَلَيْهِ	هَ دِرْعَهَا لِبَسَ الْكِمَاةُ
	وَتَقَلَّدَتْ سَيْفًا صَقِيدَ	لَا لَا تُفَلِّ لَهُ شَبَاهُ

وتقول إني سوف آخذ ثأره	
أنسام :	يا ويلتساه
أنغام :	ما للمهياة واللوعى ؟
أنسام :	هل تحسن الحرب المهية ؟
أنغام :	الحزب إذ يشتد يف
أنسام :	إني لأحسبها تضيق
أنغام :	ويلى على « يبرس »
أنغام :	ويلى على « توارن شاه »
أنسام :	بل
أنغام :	ويلى على « توران » وا
أنسام :	ذبحوه يا أختاه فو
أنغام :	وجنى عليه جنده
أنسام :	الناس تهمس أن زو
أنغام :	يا ويحها أحنيا
أنسام :	السرق في المال النى
أنغام :	من يوم طالبتها به
أنغام :	ودسية الشع التى
أنسام :	فليهنها عرش توك
أنغام :	قد أصبحت من بعده
	ق الآن ذرعاً بالحياة
	ق سريره ذبح الشياه
	والله لا أحد سواه
	ج أبيه من بعض الجناة
	قتلته لم تذكر أباه
	أخفته من بعد الوفاة
	« توران » لم تأمن أذاه
	دست عليه من عداه
	سته عريض جانباه
	فى مصر والية الولاة

أنسام	:	الحق أن لها ذكا	ء خارقاً ولها حصاة
أنغام	:	ولذاك كان لملكها	وقع وكلهم ارتضاه
أنسام	:	وإذن غداً خيراً بنو	أيوب يرويه الرواة
أنغام	:	وانهار ملكهم العري	ض وراح ينعى من بناء
أنسام	:	أعلمت بالخبر الذي	همست به أمس الشقاء
أنغام	:	ما ذاك	
أنسام	:	[في ابتسامة]	

أنغام	:	« عز الدين أير »	بك صار ذا عز وجه
أنغام	:	والعرش سوف يصير زو	جته على رغم الوشاة
أنغام	:	وإذن سيحكم في حما	ها
أنسام	:	أوستحكم في حماه	
أنغام	:	ولربما عشقت سوا	ه غداً وتيمها هواه
أنسام	:	كانت « يبيرس » تشد	ب قبل أن يلقي رداه
أنغام	:	مولاتنا أثى وإن	خضعت لصولتها الجباه

[هنا يدخل صبيح بالأسرى يقدمهم « لويس » في شكل

« ظابور » عسكري من باب المسرح متجها إلى الباب المقابل ،

كأنه آت بهم من السجن ليحفظهم في القصر استعدادا لإطلاقهم]

صليح : [في صوت عال والأسرى خلفه في حركات منتظمة]

أمامك سر وراءك سر
هنا فانتظر عييتك دُر
يسارك دُر أمامك سر

[صبيح يدخل الأسارى ثم يعود إلى المسرح]

أنعام : هذا لعمري منظر مليح
صبيح : من هؤلاء؟ هم أسارى السِّن
من هؤلاء القوم يا « صبيح » ؟
يقدمهم « ريدا » عدو الدين
علمتهم بسوطى النظاما
فأحكموا دروسه إحكاما
وليس فيهم واحد عصاني
بل كلهم أطوع من بناني
أنعام : وفيهم جاءوا ها هنا ؟
صبيح : تمهيدا
لأن فك عنهم القيودا
اليوم يظفرون بالإطلاق
سيفلت الأشرار من وثاقى
ومن بهذا « يا صبيح » قد أمر ؟

أنعام : مولانا صاحبة الوجه الأغر
صبيح : [هنا تدخل السلطانة شجرة الدر يحف بها حاشيتها . بين الحاشية أيك
وأقطاي والشاعر جمال الدين بن مطروح]

صبيح : [فى صوت عال]

مولانا ذات الجمال والندى

أحد الحاشية : عاشت لنا

ثان : أرواحنا لها قدا

شجرة الدر : أيك أين أنت ؟

أيك : ليك أنا

في خدمة السلطنة العظمى هنا

شجرة الدر : اليوم يوم الموعد المضروب

لدفع مال القدية المطلوب

فهل أتنا أحد بالمال ؟

أيك : صبراً سيأتون به في الحال

شجرة الدر : قد وعدتنا « مرغريت » أنها

تُحضرة اليوم إلينا

أيك : شأنها

شجرة الدر : [لصيح]

« صبيح » هل أتيتنا بالأسرى ؟

صيح : نعم نعم لقد أطعت الأمر

جئت بهم في غاية الخنوع

والذل والتسليم والتخضوع

شجرة الدر : وهل أتت من عندهم أسرانا ؟

أقطاي : أول وفد منهم أتنا

قد أطلق الجميع من دميّاطاً
بعضُ آتى وآخرُ تباطلاً

[هنا يسمع متاف خارج المسرح]

النصرُ للأحرارُ الصوتُ للأشرارُ
النصرُ لمصرَ ولمصرَ النصرُ
يحيا لنا « بيبس » اليومَ يومُ العرسِ
يحيا الفتى الكرارُ الفارس المغوارُ

شجرة الدر : ما ذلك الصوت الذى شقَّ السما ؟

أقطاي : الشعبُ يحتفى بنصرة الحمى

أيبك : إني أرى بالباب ضيفاً قادماً

الحاجب : [فى لهفة]

سيدتى « بيبس » عاد سالماً

جاء و « تاج الملك » قد جاءت معه

شاهرة حسامها مدرعة

بيبس : [بعد دخوله]

سلامٌ على سلطنة النيل

مرحباً

الجميع : [وهم يماقونه]

طلعت على أفق الكنانة كوكباً

شجرة الدر : أكنت أسيراً ؟

بيبرس : [باسماً]

بل قتيلاً محجباً
يظن الثرى لكنّ روحى قد أبى
فعاد إلى جسمى

شجرة الدر :

ربّك نبّئ
حديثك ما أحلى الحديث وأعذبا
ذهبتُ إلى حرب العدو ولم أكنّ

بيبرس :

لو أنى أطعت العاذلات لأذهباً
أتقصّـدنى بالعاذلات

تاج الملك :

نعم نعم
وعذلكِ عندي كان شهداً مذوّباً
رأت في السرى رؤيا فجاءت تصدّئى

بيبرس :

ولكنّ مساعيتها معي ذهبتُ هباً
فلما اقتحمت الحرب والسيف في يدي

رأيتُ هناك اثنين ذئباً وثعلباً
يقولان : « تاج الملك » أدرك فإنها

سباها العدو المعتدى ضمنّ من سبا

وسارا أمانى فى دروب كثيرة
وسرت على خطوئيهما متعقبا
فلم أر إلا فيلقا متربصا
يحوطون مهرى بالأسنة والظبي
رموه بسهم صائب فهزته
وقلت لمهرى انهض ولكنه كبا
وحف بي الأشرار من كل جانب
فلم أر لى فى ساحة الحرب مذهبا
فشدوا إسرائى ثم قالوا مجندل
ليقتل جيشى فى القتال ويرهبنا
ولكن نصر الله كان حليفنا
وما كان جند المسلمين ليغلبنا
وهأنذا قد عُدت

أهلا ومرجبا

أنرت الحمى

لا غاب نجمك أو خبا

شجرة الدر :

أحد الحاضرين -

ثان :

شجرة الدر : وما بال « تاج الملك » تلبس درعها
وتشهرُ حد السيف كالليث أغلبا ؟

تاج الملك : [في خمر]

أبعد حيبي أتركُ السيف مغمداً ؟
صليح : إذا الأسدُ لم تنفعُ فقد تنفعُ الظبأُ

تاج الملك : [تهجم عليه]

أجربُ سفيّ فيك ؟

صليح : [فرما] سيفك قاطعُ

وليس به من حاجة أن يجرباً

الحاجب : مولاة « مرغريت » خلفَ البابِ

شجرة الدر : فلتدخلُ الحسنة بالترحابِ

مرغريت : تحية أيتها السلطنة

شجرة الدر : يا مرحباً بضيفة الكنانة

أين القدا ؟

مرغريت : [وهي تسلمها مظروفاً] في ذلك الغلافِ

تقضي لي يا ربة العفافِ

صليح : [لنفسه] جمعتُ يديها من دماء الشعب جمعاً

إن من صور هذا الـ سوجه قد أبدع صنعا

شجرة الدر : صبيح

صبيح : [منفراقتهم] لبيسك . نعم مولاتي
هاتِ الأسارى يا « صبيح » هاتِ
[صبيح ينطلق لإحضار الأسرى]

شجرة الدر : سـيظفر الجميع بالإطلاق
إنّا نقي بالعهد والميثاق
مرغريت : هذا الوفاء عهدنا بمصرًا

شكرًا لربة العقاف شكرا
صبيح : [يأتي بالطابور] أمامك سرّ يمينك در
عن السير كف هنا فلتقف

شجرة الدر : « صبيح » أطلقهم من الوثاق
فإني مننتُ بالإطلاق

صبيح : [بعد أن يفكهم] سيدتي أفديك بالروح
فلنستمع شمس ابن مطروح
ولنستمع أيضا « لويس »

شجرة الدر : نعم
هذا مقام ملهم يوحى

ابن مطروح :

« قُلْ للفرنسيس إذا جئته

مقالَ صدق من قولِ فصيحٍ »^(١)

« آجَرَكَ اللهُ على ما جرى

من قتل عباد يسوع المسيح »

« أتيتَ مصرًا تبتغي ملكها

تحسبُ أن الزمَرَ يا طبلُ رنج »

« فساقتَ الحَيْنُ إلى أدهم

ضاق به عن ناظريك الفسيح »

وكلُّ أصحابك أودعتهم

بحسن تدبيرك بطن الضريح »

سبعمون ألفًا لا يرى منهمو

إلا قتيلٌ أو أسيرٌ جريح »

ألمبك اللهُ إلى مثليها

لعلَّ عيسى منكو يستريح »

(١) آثرنا أن ندج هذه القصيدة برمتها في المسرحية لسهولة فهمها وقيمتها التاريخية بالنسبة

لموضوع الرواية .

« إن يكن البابا بذاً راضياً
فربّ غشّ قد أتى من نصيح »
« وقل لهم إن أزمعوا عودةً
لأخذ ثأر أو لفعل قبيح »
دار « ابن لقمان » على حالها
والقيدُ باقي والطواشي صبيح »

[تصفيق من الجميع]

لويس : شكرا على إحسانكم شكرا
شجرة الدر : انطلقوا . يا أيها الأسرى

[هنا يخرج الأسرى في مقبضتهم [لويس] و [مرغريت] على شكل طابور .
في نهاية الطابور الجاسوسان . تقع عين بيرس عليهما فيقبض عليهما]

بيرس : [للجاسوسين]

لا تبرحا يا صاحبي البابا
فإن لي معكما حساباً

بيرس : [لشجرة الدر] سيدتي كلاهما غريمي
الجاسوسان : العفو من شمائل الكريم
شجرة الدر : « بيرس » من هذان ؟

بيبرس :

جاسوسان

قالا لنا بل نحن تاجران
قَزَلَا في منزل الضَّيْفانِ
كالْحَيَّةِ الرِّقْطَاءِ وَالثَّعْبَانِ

هما هما اللذان أوقعاني

صليح :

وَأَتَيَا لِسِرْقَةِ السُّلْطَانِ

فوقما في قبضة السَّجَّانِ

أقطاي :

وَلَعِبَا دُورًا مَعَ الْفُرْسَانِ

أيبك :

ولعبا آخرَ مَعَ « تُورَانِ »

وَأَفْسَدَا فِي هَذِهِ الْأُوطَانِ

شجرة الدر :

فَلْيُضْرَعَا

بيبرس : [يضرب الأول ثم الثاني]

اذهبْ إِلَى الشَّيْطَانِ

وَأَنْتَ فَلَتمَضِ إِلَى الْفِرَانِ

[يخرج الجاسوسان صريحين فينتقلان فورا خارج المسرح]

بيبرس :

[لتاج الملك] الْآنَ قَدْ وَفَيْتُ بِالْمِثَاقِ

رَأْسَاهَا قَدْ تَمَّمَا صَدَاقِي

ما رأى « تاج الملك » ؟

بيبرس : [وهي ساكنة في خفر] لم تجيبي

تاج الملك : [وهي تعاقه] لقد قبضتُ المهرَ يا حبيبي
شجرة الدر : ويا ترى المأذونُ مَنْ يكونُ ؟

[هنا يدخل « الشيخ عز » ومعه شيخ عراف كت اللحية يتأبط كتابا ضخما]

بيبرس : ها هو ذا قد حضرَ المأذونُ

شجرة الدر : « بيبرسُ » لن تظفرَ بالقرانِ

وحدك بل « أيبك » زوجٌ ثانٍ

أنت لتاج الملكِ زوج وهو لي

أيبك : [لبيبرس]

عُرسى وعرسُ صاحبي في محفلٍ

الشيخ عز : سأحضرُ الدواة والكتابا

وأعزمُ الجـيـرةَ والأصحابا

عرسٌ سعيدٌ زاهرٌ وآخرٌ

والنصرُ عرسُ المسلمين الأكبرُ

شجرة الدر : [للشيخ عز]

مَنْ ذلك الشيخ الذي تراققه ؟

الشيخ عز : خِل عزيزي لي لا أفارقـه

ما مثله في الأرض من عرّافٍ
وليس من سرّ عليه خافِ
الإنس فوق الأرض تستفتيه
والجن تحت الأرض لا تعصيه

شجرة الدر : [للعراف]

يا أيها الشيخ المهيب أقبل
لبنيك مولائي مري أمثل
العراف :
شجرة الدر :
إني ارتضيت اليوم « غزّ الدين »
زوجاً لكي أحفظ نصف ديني
هل يا ترى زواجنا موفق ؟

العراف : [وهو ينظر في الكتاب ويقرأ في تودة وضغط على الحروف]
دعي الكتاب يا فتاتي ينطق
باسمك يا مكوّن الأكوّن
يا عالماً بالسر والإعلان
مولاي أنت عالم الغيوب
علمك نافذ إلى القلوب
سألتك التوفيق والإبانة
عما تريد حضرة السلطنة

هَذَا زَوْاجُ مُحَمَّدَانِ حَاضِرَةٍ
وَاللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ يَدْرِي آخِرَهُ (٤)

وَزَوْجُكَ السُّلْطَانُ « عَزُّ الدِّينِ »

يَجْلِسُ فَوْقَ الْعَرْشِ بَعْدَ حِينٍ

تاج الملك : [العراف]

نَاشَدْتُكَ اللَّهُ أَلَا أُبَيِّنُ لِي

يَا أَيُّهَا الْعَرَّافُ عَنْ مُسْتَقْبَلِي

مُسْتَقْبَلٌ يُؤْذَنُ بِالسَّعَادَةِ

العراف :

وَيَمْنُهُ مَطَّرُ الزِّيَادَةِ

وَبَعْدَ فِتْرَةٍ مِنَ الزَّمَانِ

يَقَالُ عَنْكَ زَوْجَةُ السُّلْطَانِ

« بِيَرَسُ » فِي غَدٍ يَسْمَى الظَّاهِرَا

يَعُودُ مِنْ حَرْبِ الصَّلِيبِ ظَافِرَا

يَا صَاحِبَ الْإِفْضَالِ وَالْأَيَادِي

الشيخ عز :

قُلْ لِي عَنْ مُسْتَقْبَلِ الْبِلَادِ

هَلِ الْفَرَنْسِيُّونَ بَعْدَ الْآنَا

سَيَطْنُونَ هَذِهِ الْأُوطَانَ ؟

(١) يلاحظ أن هذا الزواج انتهى بالفشل فقد قتلت شجرة الدر زوجها في الحمام .

العراف :

يُغِيرُ جَيْشُ السِّينِ مَرَّتَيْنِ
وَيَنْتَقِي أَفْشَلَ مِنْ حُنَيْنِ
فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى سِيزَحْفُونَا
فِي عَهْدِ مَنْ يُدْعَى « بِنَابِلْيُونَا »
حِينَئِذٍ يَنْتَصِرُ الشَّعْبُ الْبَطْلَانِ
وَيَرْجِعُ الْجَيْشُ الْمَغِيرُ بِالْفُشْلِ
وَمَرَّةً أُخْرَى « فَرَنْسَا » تَظْهَرُ
فِي مِصْرَ إِلَّا أَنَهَا لَا تَظْفَرُ
فِيهَا تَزُورُ بَرْزَخَ الشُّوَيْسِ
عَصَابَةً أُجْبِنُ مِنْ « لُؤَيْسِ »
يُسْنِدُهَا جَيْشٌ مِنَ السَّكْسُونِ
وَأُخْرَى مِنْ سِفْلَةِ الصَّهْبِيُونِ
فَيَرْجِعُ الْكَلْبُ رَجُوعَ الْخَامِرِ
وَيَرْجِعُ الشَّعْبُ رَجُوعَ الظَّافِرِ
فِي عَهْدِ مَنْ ؟

الشيخ عز :

في عهد عبد الناصر

العراف : [في قوة]

[ستار]

مطابع دار القلم بالقاهرة

هذا الكتاب

* « ... قطاع من تاريخنا المشرق ، فقد اشترأبت أعناق الصايبيين الى السيطرة ، وكان غزو لويس التاسع ملك فرنسا لمصر ... ولم يكن يتوقع أن هذا الشعب سيستمرى مرارة الحرب ، ويجد لذة في الكفاح ، حتى توالت الهزائم على كتائبه في معركة المنصورة ، وأصبح أسيرا في دار ابن لقمان ... ووقائع هذه المعركة فصلها الأستاذ الشاعر الكبير ، دون أن يتجنى أو يفتات على حقائق التاريخ . ولقد توخى القواعد الأساسية في التأليف المسرحي ، وصحب بفكره أبطال روايته عن وعى وإدراك كاملين ، وأبرز أدق الخلجات والنزعات التي تعيش في قلوبهم ... »

هذه كلمات معبرة ، من فنان قدير : هو عزيز أباظة ، الشاعر الكبير صاحب المسرحيات الشعرية الرائعة ...

* والشاعر الاستاذ محمود غنيم نظم الشعر من قديم ، فقد نشرت له الصحف قصيدة في رثاء الزعيم محمد فريد ١٩١٩ وكان مازال طالبا ، وتتابعت أشعاره تنمو وتزهر حتى نال ديوانه (صرخة في واد) الجائزة الأولى في أول مسابقة عقدها الجمع اللغوى بين الشعوب العربية ١٩٤٧ . وعالج التأليف المسرحي ، فكانت مسرحيته الشعرية (غرام يزيد) الأولى في مسابقة وزارة الشؤون الاجتماعية ١٩٥٠ ، وقد مثلت مسرحياته الشعرية المتعددة في الأقطار العربية .

* ويسر دار القلم أن تقدم الى القراء مسرحية (النصر لمصر) ... وهي تدعو لصاحبها مع الشاعر الفنان عزيز أباظة « أن يديم عليه ما أسلفه له من نعمة البلاغ والتألق في خدمة اللغة العربية الكريمة ، والشعر العربي الخالد » .

دار القلم

التمن

